# أصول التعايش مع الآخر

الشيخ
ياسين حسن عيسى العاملي



دار الهادي

# أصول
# التعايش مع الآخر

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

ISBN : 978 - 9953 - 503 - 52 - 3







هاتف: ٥٥٠٤٨٧/٠١ - ٨٩٦٣٢٩/٠٣ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com

# أصول
# التعايش مع الآخر

الشيخ
ياسين حسن عيسى العاملي




للطباعة والنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

# الإهداء

إلى روح والدي الذي سبقني إلى جدث الرحمة .

أهدي ثواب كتابي الذي أؤمِّل أن يكون محلّاً للرضا .

وعسى أن يكون ذلك بِراً وصِلة .

أو يكون عوضاً عمّا فات ومضى .

والله ولي التوفيق .

# مقدمة

والحمد لله وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله الهداة الميامين.

لقد اخترنا هذا البحث لأهميته الكبرى في إنجاح العلاقة بين الناس، والنجاح مرهون بمرتكزات عقلائية عرفية ودلالات العقل وإرشادات الشرع، فإذا ما جمعنا بين المفاهيم التي عاشت مع الإنسان في تجربته والتي شكّلت نوعاً من المتعارف بين الناس مع أضواءٍ من العقل والشرع لخرجنا بقواعد يمكن أن تكون هي المقياس في تعاطينا فيما بيننا والضابط الذي يُرجع إليه عند تباين الآراء واختلاطها.

ومَنْ منّا يستغني عن المذكِّر له من وقتٍ إلى آخر؟ ومَنْ مِنّا يستطيع أن يأمن غوائل النفس وشرَّها؛ ومن منا لا يقع أسير الانتقام والحقد ولو في لحظة المشكلة؟

إن ظروف الحياة المملوءة بالمشاكل وتزاحم المصالح فيما بين الناس مع وجود النفس الأمّارة بالسوء والشيطان من ورائها،

كل ذلك يقتضي بذل الجهد في جمع مثل هذه القواعد وتنقيحها ودراستها أكثر فأكثر لدى كل أصحاب الهمم العالية والأقلام الهادفة.

وبذلك نخرج بأقل الخسائر في علاقتنا مع بعضنا البعض وعلى كل المستويات وفي كل المجالات.

# حب الاجتماع

إن الله خلق الإنسان في أحسن صورة وأحسن تقويم بما يتناسب مع اختباره وامتحانه في هذه الدنيا الممرّ إلى دار الخلود، وأودع فيه كل آيات الجمال والكمال وأعطاه من اللياقات الجسمية والروحية ما يؤهله كي يكون الأفضل من بين الأحياء.

إن مقدَّرات الكمال مودعة في الإنسان ولديه القابلية كي ينمِّيها حتى يصبح لديه التكامل الروحي كما يتكامل جسده.

والتكامل الروحي لدى الإنسان يتم من خلال النشاطات القلبية والمعارف الحقة التي تتكفَّل برؤية كونية شاملة عن الحياة والتي تجيب عن ثلاثة أسئلة رئيسية:

من خَلَقنا ولماذا خَلَقنا وبماذا كلَّفنا؟

وأيضاً التكامل الروحي يتم من خلال نشاطات بدنية كعمل الصالحات ومكارم الأخلاق وعلى رأسها وجوهرها الأعمال العبادية بين يدي الله سبحانه.

ومن هذه الأعمال الجسمانية التعاطي الصالح مع الآخر وهذا يتطلب دافعاً فطرياً باتجاه الآخر، فكانت غريزة حب المخالطة والاجتماع ضمن منهج تكويني يجسِّد لوحة فنيّة رائعة في خلق الإنسان فكانت الحاجة إلى الزواج والذرية وتقاطع المصالح.

إن هذا الحسَّ الفطري واضح في النفس إلى درجة أنه يحسُّ الغربة الممقوتة لديه إذا انقطع عن الآخرين أو قاطعوه بل يرى الآخرون الحالةَ المرضيةَ لديه عندما يختار العزلة.

إن هذه الغريزة تراها حيَّة حتى في نفوس الحيوانات التي تنقسم إلى أنواع وفصائل تتعايش فيما بينها، كما قال الإمام علي عليه السلام: «كل طير يأوى إلى شكله»[1].

إن الإنسان يألف الحياة مع الحيوان لتقاطع المصالح معه، فإن الحيوان الداجن يفتقر إلى من يلبِّي حوائجه من مطعم ومأمن وحماية وهذا بدافع غريزي لديه تسخيراً للإنسان، والإنسان بحاجة إلى منافع هذا الحيوان في سماد الأرض أو في حراثتها أو غير ذلك.

فإن كان الإنسان متطبِّع على التعايش مع الحيوان فكيف مع أخيه الإنسان؟!

إن حب الاجتماع حسٌّ باطني حقيقي كما نتحسَّسُ الميل النفسي للأكل والراحة وغيرها.

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٢٣.

إن الأحاسيس الباطنية مخلوقة في النفس كما خلق الله أعضاء البدن، إنها أحاسيس لا تكذب ولا تخطئ، فمن يقول أنا جائع هو صادق في إخباره بذلك، ومن يقول إنني أميل إلى عشرة الآخر هو صادق لا يكذب.

ومن ألطف آيات فطرة حب الاجتماع، ميل الطفل غرائزياً ليلتهم ثديَ أمِّه منذ الوهلة الأولى من خروجه من رحلة الأجنَّة إلى رحلته الثانية في هذه الدنيا، فإذا ما خرج من بطن أمِّه يفتح فاه مفتشاً عن مصدر أكله وإذا به يرى الأمور قد تهيَّأت له عند أمِّه إذْ تحوَّل دمها إلى حليب فيه قسمته من غذاء وماء، في درجة حرارية متناسبة وفي حضن ملؤه الحنان وعلى أنغام دقة القلب التي تفوق كل ما أنتجه الإنسان من فنِّ الكلاسيك، إنها صناعة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

قال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

(١) سورة النمل، الآية: ٨٨.

# هل الآخر حاجة؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

إن الآخر حاجة وبدون تردد كما اقتضت حكمة الخلق في الإنسان كي يسير باختياره نحو الخلود الأبدي في رحمة إلهية غير متناهية تتناسب مع كرم الله جلّ شأنه، فأحوجنا الله إلى بعضنا البعض، فخلقنا شعوباً وقبائل، لكل صنف لغته وتجاربه وعاداته، فكانت حاجة الإنسان إلى الإنسان في التعليم والطبابة والحماية وتقديم الخدمات وإقامة المؤسسات ونظام الدولة وإلى غير ذلك كما هو المعلوم والملموس. إن الإنسان بحاجة إلى أهله وإلى أرحامه وإلى جيرانه وإلى بني وطنه، وكان صمّام الأمان لذلك هو حب الاجتماع والإلفة والتآلف وحب التودُّد والرفقة والعشرة.

ومن هنا جاءت شريعة السماء ـ من قِبل خالق الإنسان العالم

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

بحوائجه ـ لتشرِّع الأحكام المتناسبة مع خلقة هذا الإنسان والمنسجمة مع أحكام العقل، جاءت لتؤكد التآلف والمحبة في كل الأبعاد وبين أيدينا هذه الإضاءات الشرعية:

قال الإمام علي عليه السلام: «سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار»[1].

وقال عليه السلام: «الغريب من لم يكن له حبيب»[2].

وقال عليه السلام: «أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير وأصلك الذي إليه تصير ويدُك التي بها تصول»[3].

وقال عليه السلام: «رأس العقل التودد إلى الناس»[4].

ـ «من تآلَّف الناس أحبوه»[5].

ـ «من لا إخوان له لا أهل له»[6].

ـ «فقد الأحبة غربة»[7].

ـ «كل امرىءٍ يميل إلى مثله»[8].

---

(١) نهج البلاغة، شرح محمد عبدو، ص ٥٧٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٧٤.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٧٦.
(٤) تصنيف غرر الحكم، ص ٤١٣.
(٥) تصنيف غرر الحكم، ص ٤١٤.
(٦) تصنيف غرر الحكم، ص ٤١٤.
(٧) تصنيف غرر الحكم، ص ٤١٤.
(٨) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٢٣.

- «كل شيء يميل إلى جنسه»[1].
- «الإمامة نظام الأمة»[2].
- «خير السياسات العدل»[3].
- «عدلُ السلطان حياة الرعية وصلاح البرية»[4].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٢٣.
(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.
(٤) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

# هل البشرية أسرة واحدة؟

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ﴾[2].

الكل من آدم وأمهم حواء وآدم من تراب وكان تعدد البشر بالزواج وكانت الحياة المختومة بموت انتقالي إلى حياة المحشر إلى لقاء الله تعالى في رحمة الأبد.

إن الحياة الإنسانية متناسبة، الكل محتاج إلى الكل وكلٌ يمرُّ في تجربة الحياة بمعدَّل السبعين سنة كحدٍّ غالب، وتمرُّ دورة الحياة وكل رجل وامرأة هما مشروع أسرة متكاملة في دولاب الزمن حتى يأتي أمر الله بالخاتمة.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٥٤.

وهناك نتساءل: أيُّ فرق بين المفهوم الأسري للبيت الصغير وبين المفهوم الشجريّ للأرحام وبين مفهوم الأسرة البشرية ككل؟!.

والجواب: إنه لا فرق في ذلك إلَّا من ناحية حجم الأسرة من جهة ومن ناحية البعد الزماني من جهة أخرى.

وما ينطبق على الأسرة المصغَّرة ينطبق على الأسرة الموسَّعة بحجم البشر وتاريخهم.

إن الأسرة لا تكتمل إلَّا بالتفاني والتضحية واحترام الآخر، وتغليب المصلحة العامة على الأنانيات والعيش بالقِيم والكرامات، وهكذا الأسرة البشرية كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ خصوصاً في هذا الزمان الذي تداخلت فيه مصالح الدول وانتشرت شبكات الاتصالات بين كل أمم العالم حتى أضحى العالم الإنساني على كبره في زمن الإنترنت كالأسرة الصغيرة في سهولة التواصل والتلاقي والتأثر.

وكما أنّ المفهوم الأسري يتعرض للخطر عند شيوع المفاسد الخلقية والتباغض والتحاسد وغلبة المصالح الفردية الشخصانية والتفكُّك، كذلك يتعرض المجتمع البشري للانحدار والسقوط إذا ما شاعت شريعةُ الغاب وسيطرةُ الأقوى، وقُتل عندها مفهوم التراحم وسادت المنكرات والرذائل وإلى غير ذلك...

ونتيجة وجود هذه الانحرافات وغيرها في المجتمع البشري والتي تؤول إلى وجود الطبقية الممقوتة والتفكك وشيوع الجريمة والإبادة واللَّعب بالقوانين والتشريعات الحامية للمصالح الفردية والاجتماعية كان لا بدَّ من أن يتمخَّض من هذا الواقع النخبة الصالحة الممانعة من هذا الانحراف والداعية إلى مناهضته وطرح البديل الصالح كما سيأتي، والتي ستكوِّن الأسرة بالمعنى الأخص.

# بماذا تمخضت تجربة الأسرة البشرية؟

إن كل مجتمع مهما كان حجمه، يتمخض بالخواص الصفوة الذين يمتازون عن غيرهم نتيجة التجارب كما يتمخض الحليب فيستخرج منه الزبد.

ومن الطبيعي أن يمتاز النخبة من كل مجتمع عن غيرهم فيقال يمتاز في هذه الأسرة واحد أو اثنان وتمتاز هذه القبيلة بثلّة صالحة وعاقلة، كما تمتاز القرية بنخبة من الصالحين يشكّلون رمزها، والمجتمع العام نتيجة الانحرافات التي تجتاحه يتمخض بالمجتمع الخاص الذي يتألف من العقلاء والصالحين والحكماء وأصحاب الإبداع والعطاء ويتجمهر حولهم من يؤمن بهم ويتأثر بصفاتهم.

وبالنظرية الإلهية إن النخبة من البشرية ككل تتمخض بالمجتمع الخاص المسمى «بالمؤمنين» وهؤلاء يدخلون في «أسرة الإيمان» أو «أخوة الإيمان» قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٠.

والسؤال: لماذا النخبة كانوا هم المؤمنون؟

الجواب: إن الإنسان يولد ولديه الطبائع الحيوانية بالفعل كبقية الحيوانات، ولكنه يمتاز بامتلاكه القابليات للكمال[1]، وبمقدار ما يتكامل يصبح أقرب للإنسانية من الحيوانية. ومن هنا نقول إن الإسلام جاء ليوضِّح طريق الكمال للإنسان وليبني بتعاليمه إنسانية الإنسان، والتي تبنى بثلاثة أمور:

١ ـ بالاعتقاد الحق والوعي بنظرة شاملة وبرؤية كونية واضحة، فيعرف الإنسان من خلقه وماذا أراد منه وإلى أين الغاية، وهذا من أهم كمالات الإنسان ورشده ورقيِّه.

في مقابل من يعتقد بأنه خُلق ليعيش فقط كبقية الحيوانات أو أن حياته هي هذه الدنيا من دون حساب ولا ثواب ولا عقاب، وهذا ما يطلق عليه بالضلال والضياع والظلامية، ومنه الخرافات وعبادة الأصنام ورسم الأهداف الضيِّقة للحياة كجمع المال والسيطرة...

٢ ـ الأعمال الصالحة التي تتناسب مع الإنسان وقيمه والتي ترتبط بعالم النهاية والغاية وهي التي أرشدنا إليها رب العالمين ومدبِّر أمور الإنسان، ومن خَلَقَ الإنسان هو أدرى به وبمصالحه وهذا في مقابل من يعصي الله وهو يأكل من رزقه ويرتع في ملكه،

---

(١) راجع تزكية النفس من سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، ص ٨ ـ ١٤.

وإن من أكبر الموبقات والخطايا أن يخلقنا الله ويطعمنا ويرزقنا ويربِّينا ونحن نعبد ونشكر غيره. ومن هذه الأعمال الصالحة العبادات كالصلاة والصوم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

٣ ـ السلوك الحسن والإتيان بمكارم الأخلاق ومحامد الأفعال كالكرم والرحمة، والحمية والشجاعة والتضحية ونصرة المظلوم والدفاع عن الأوطان، والمحبة ومدّ يد العون، والتسامح وشكر الله على ما أنعم وغيرها، في مقابل السجايا الباطلة والرذائل الساقطة التي تحطّ الإنسان إلى أدنى من حيوان، والتي هي أضداد هذه السجايا الحسنة المذكورة.

إن كمال الإنسان ببعده التكاملي الإنساني وإن كانت لديه حوائج مادية حيوانية كالأكل والشرب والزواج والسكن إلا أنه يلبيها من أجل خدمة الهدف الإنساني والبعد التكاملي، ولو تحوَّل البعد الحيواني إلى هدف وكانت حياته من أجل تحقيق غرائزه وإشباعها فقط لسقط الإنسان عن مقام الإنسانية وأصبح في حدود الحيوانية وإن كان في صورة إنسان[١].

ومن هنا يتضح الخلط بين الكمال الحقيقي في رشد النفس ومعارفها وأعمالها الصالحة وبين الكمال الوهمي الذي يتوهمه صاحبه ويظن أنه الكمال له كمن يظن أن الكمال في لياقات البنية الجسدية أو جمع المال أو التمتع بأكثر حد ممكن بلذائذ

---

(١) المصدر السابق.

الشهوات، وهل هذا هو الكمال النهائي والسعادة المرجوّة للإنسان؟ أليس هذا الكمال الحيواني هو لدى الحيوانات؟!

ومن هنا نقول: إن الذي جاء به الإسلام هو الإرشاد والهدي إلى الطريق الصحيح في الدنيا والآخرة، والذي يطلق عليه «طريق الرضا الإلٰهي»، وهذا هو الواقع ودونه وهمٌ وسرابٌ ومحدودية ضيِّقة وسقوطٌ في أوحال الشهوات لا أكثر. وعليه يمكن أن نطلق على من سار ضمن الرؤية الإلٰهية أنهم «النخبة» الذي وعوا واقعهم، وساروا في طريق الهدف الكبير الذي خلقوا من أجله لأن الله خلق الخلق للبقاء لا للفناء، وليس الموت هو نهاية الطريق بل هو قنطرة عبور و«محطة ترانزيت» للانتقال إلى دار البقاء في الآخرة. فهم الذين يدخلون في «الأسرة الإيمانية» وفي «أهل رضوان الله» وفي «الإخوان في الله».

وقال الإمام علي عليه السلام في توضيح الهدف الحقيقي: «إنك مخلوق للآخرة فاعمل لها»[١].

إلا أن الحالة العامة الإيمانية لا تملك ضمانة الصوابية والاستمرار الصحيح في نهجها، لوجود العوامل الكثيرة التي تؤثر في انحراف المسيرة الإنسانية عن صراطها المستقيم لأن الضمانة الكاملة هي في التجمهر حول الدستور والنهج الحق المتمثل بالإسلام كأعظم قانون عدالة للإنسانية وإلى يوم القيامة، بالإضافة

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ١٤٥.

إلى إعطاء الحاكمية إلى قيادة حكيمة راشدة عالمة بهذا القانون ولديها أعلى مستوى من الحصانة الأخلاقية والإدارية ومطَّلعة على علم الغيب بإذن الله، لأن الإسلام قانون إلهي ومن عند الله ويجب أن يكون القائد عالماً به وبتسديد من الله، ولذا اشتُرِط في الإمام عند مذهب أهل البيت عليهم السلام أن يكون معصوماً وعالماً بالغيب بتسديد من الله تعالى، وبذلك يكون لديه أسرار التشريع سواء في القرآن أو السُّنة النبوية وليكون الأجدر في تطبيق الإسلام كنظام أصلح للبشرية، ولذا كانت الحاجة إلى الأدلاّء على الله تعالى وعلى شرعه وقانونه وهم القدوة إلى طريق الله ورضوانه كما سيأتي.

# المجتمع ونموذج القدوة

الكمال النهائي ببلوغ القرب المعنوي من الله تعالى يحتاج إلى التواصل مع مصدر الكمال وهو الله الكامل المطلق جلّ شأنه.

والمعرِّف عن الله تعالى هو العقل والوحي وكلاهما لطف ورحمة بالإنسان، والوحي يتمّ بواسطة نبيٍّ أو وليٍّ لديه العلم عن الله بلطف منه جلّ شأنه مستجمعاً لكل الكمالات الإنسانية كي يكون القدوة للناس، وحتى يُصدَّق بما أخبر به من الوحي لا بدَّ أن يكون معصوماً بتسديد من الله تعالى، والولي والإمام هو المكمِّل لدور النبي كما هو الحال في الأئمة الاثني عشر عليهم السلام المكمِّلون لدور النبي الخاتم صلى الله عليه وآله، كل ذلك حتى تبقى السُّنَّة النبوية مأمونة من التحريف بعرض القرآن الذي تكفَّل الله بصيانته من التحريف وبنص قرآني واضح ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾[1] وببركة الإمامة يبقى الوحي والإسلام غضّاً نضِراً طريّاً كنظام أصلح

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٩.

للحياة حتى يوم القيامة، ومن دون الإمامة لا توجد الضمانة في وصول السنَّة سالمة وصحيحة في مشروع العدالة.

هذه القدوة الإلهية هم الأنبياءُ والأولياءُ وعلى رأسهم محمد وآل محمد ﷺ ودورهم تشريع الوحي وحفظه وتطبيقه إن أمكن.

وقد جاء في وصف النبي محمد ﷺأنه (نبي الرحمة وخازن المغفرة وقائد الخير والبركة ومنقذ العباد من الهلكة... القيِّم بأمر (اللّه)... حتى رفع (اللّه) به نواظر العباد وأحيى (الله) به ميت البلاد)[1].

وجاء في وصف الأئمة الاثني عشر عليهم السلام أنهم (مصابيح جنانه وحملة فرقانه وخزنة علمه وحفظة سرّه ومهبط وحيه وعند(هم) أمانات النبوة وودائع الرسالة)، وجاء (أنتم أمناء الله وأحباؤه وعباده وأصفياؤه وأنصار توحيده وأركان تمجيده ودعاته إلى كتبه وحرسة خلائقه وحفظة ودائعه... ومنكم راية الحق التي من تقدمها ضلّ ومن تأخّر عنها زلّ وفرض طاعتكم... وحملتم الخلائق على منهاج النبوة ومسالك الرسالة.. وسرتم.. بسيرة الأنبياء ومذاهب الأولياء...)[2].

وما ذكر هنا عليه دلائل من الكتاب الكريم القرآن كما في آية

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ٣٩٠.

(٢) مفاتيح الجنان، الزيارة الجامعة، ص ٦٣٠.

التطهير وآية المباهلة وآية المودة. ناهيك عن الحديث المتواتر بين الشيعة والسنة وهو حديث غدير خُم، ومن أراد التحقق أهديه إلى كتاب المراجعات للإمام السيد عبد الحسين شرف الدين.

إن وجود القدوة هو لاستكمال مشروع الإنسان في الأرض لحاجته إلى الدلائل على طريق كماله، ولولا الإمامة لضاعت الرسالة وضاع الوحي ولولا النبوة لما كان الوحي، ولولا لطف الله لما كان وحيٌ ولا عقلٌ ولما كان الإنسان الخليفة في الأرض، ثم إن قدوة المعصومين بعد وفاتهم وشهادتهم وبعد غياب خاتمهم القائم المؤمل والعدل المنتصر متمثِّلة بالعلماء الأبرار الجامعين لشرائط الفقاهة والعدالة والإدارة نيابة عنه (عج) كما هو المقرَّر في أبحاث ولاية الفقيه.

## هل يوجد تفاضل بين الناس؟

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1].

كانت للجاهلية ثقافتها في المحيط العربي، حيث عبادة الأصنام وشنُّ الغارات على الأبرياء والآمنين والتعصب القبائلي ووأد البنات خوفاً من العار إلى غير ذلك، وقد أجاد وصف الجاهلية جعفر بن أبي طالب في قوله لملك الحبشة:

(كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

المحصنات، وأن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً وأمرنا بالصلاة والصوم والزكاة...)[1]، وكان الاعتزاز والافتخار بكثرة المال والولد والقوة والاقتدار، ومن كان كذلك فهو الذي يملك قرار التأثير ويكثر خدمُهُ وحَشَمُهُ ويكون المرشَّح لقيادة القبيلة أو العشيرة، وإلى هذا الواقع يشير القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾[2] فكانوا لجاهليتهم يعتبرون نِعَمَ الله إكراماً لهم في حين أنها امتحان، ويعتبرون ضيق الرزق عليهم من قِبل الله إهانة مع أنه أيضاً للامتحان ولا يعيرون الاهتمام للمعارف الحقة والقيم الإنسانية. وعندما جاء الإسلام نادى بمبدأ المساواة من جهة بين الناس وإن تعددت وظائفهم، فلا تفاضل بالمال ولا بالأولاد ولا بكثرة الملذات والشهوات ولا فرق بين عربي وأعجمي ولا بين أبيض وأسود لأن الكل من آدم وآدم من تراب، والكل مولود من أب وأم يأكل الطعام ويمشي في الأسواق.

نعم التفاضل هو بالقِيم الإنسانية والمعارف الحقة والتي هي محل تنافس بين الشرفاء والعقلاء، فمن كان السبَّاق إلى رضا الله وتقواه بأن أطاعه ولم يعصه كان هو الأكرم عند الله وهو الأفضل

---

(١) راجع الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج١، ص١٧٠.

(٢) سورة الفجر، الآيتان: ١٥ ـ ١٦.

ومن كان أكثر خدمةً للناس محتسباً ذلك عند الله، وكان ليِّناً سهلاً مع إخواته يتعامل برحمة وحنان ولم يغترّ بحب الدنيا بأن لم تنسه ذكر الله ويوم الحساب وكان شديداً على أعداء الإنسانية كريم النفس وحَسَن الخُلُق شجاعاً في المواقف الوطنية كان الأكرم والأفضل عند الله تعالى.

والقاعدة: أن الإيمان بالله تعالى ومعرفته هو الأساس للتكامل الإنساني والوصول إلى القرب من الله ورضوانه، وبمعرفة الله ومعرفة المصير الذي نؤول إليه يتكوَّن الدافع إلى تزكية النفس وإلى القرب من الله تعالى.

وبقوة المعرفة بالله ودرجات تزكية النفس ودرجات القرب إلى الله تكون الأفضلية والأكرمية بين الناس[١].

وباب العبادات والطاعات واسع فتحه الله لمن أراد التقرب إليه، وقد تكفّلت كتب الأدعية وكتب الفقهاء في بيانها شرحاً وتعليقاً وتبويباً.

(١) راجع تزكية النفس ـ سلسلة العلوم والمعارف الإسلامية، ص ٦٢ـ٨١.

## من الأمور التي هي ميدان سباق بين الناس:

١ ـ الصلاة الواجبة والصلاة المستحبة فإن الصلاة قربان كل تقي وهي عمود الدين.

٢ ـ التوبة من الذنوب والمعاصي، كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا شفيع أنجح من التوبة»[١].

٣ ـ الصدقات كما قال الرسول صلى الله عليه وآله: «خير مال المرء وذخائره الصدقة»[٢].

٤ ـ خدمة الناس، قال الإمام علي عليه السلام: «خير الناس من نفع الناس»[٣].

٥ ـ بر الوالدين وصلة الرحم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

(١) قصار الجمل، ج١، ص ٧٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٩.
(٣) ميزان الحكمة، ج٢، ص ٢١٤.

٦ ـ الجهاد في سبيل الله تعالى، ففي الحديث: قيل للإمام الصادق عليه السلام أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الصلاة لوقتها وبر الوالدين والجهاد في سبيل الله»[١].

٧ ـ حسن الخُلُق، قال النبي صلى الله عليه وآله: «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخُلُق»[٢].

وقال الإمام علي عليه السلام: «من سعادة المرء أن يصنع معروفه عند أهله»[٣].

٨ ـ قضاء الحوائج ومداراة الناس والكلام الطيِّب وإدخال السرور على المؤمن....

وبين أيدينا وصية لأمير المؤمنين عليه السلام في مكارم الأخلاق والتي هي ميدان للسباق والمنافسة أوصى بها ولديه الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة.

حيث قال عليه السلام:

«أوصيكما بتقوى الله وأن لا تبغيا الدنيا وإن بغتكما ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما وقولا الحق واعملا للأجر وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً، وأوصيكما وجميعَ ولدي وأهلي

---

(١) قصار الجمل، ج١، ص ٤٨.
(٢) المصدر السابق، ص ٧٦.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٠٥.

ومن بلغه كتابي بتقوى الله ونظم أمركم وصلاح ذات بينكم فإني سمعت جدكما ﷺ يقول: صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام،

والله الله في الأيتام فلا تغِبُّوا أفواههم (أي لا تقطعوا عنهم الطعام) ولا يضيعوا بحضرتكم،

والله الله في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم،

والله الله في القرآن لا يسبقكم بالعمل به غيرُكم،

والله الله في الصلاة فإنها عمود دينكم،

والله الله في بيت ربكم لا تخلوه ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا (أي لا يُنظر إليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس)،

والله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله،

وعليكم بالتواصل والتباذل (مداولة العطاء) وإياكم والتدابر والتقاطع،

لا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيُوَلَّى عليكم شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم»[١].

---

(١) نهج البلاغة، ص ٥٩٧.

# آفات ومخاطر

قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ۝٤١﴾[1].

إن الفساد في الأرض عبارة عن الجرائم والمفاسد السلوكية التي يرتكبها الفرد أو الجماعة بحق الفرد أو الجماعة.

ومن هذه المفاسد المعاصي والذنوب والرذائل التي تنكّر لها العقلاء بما هم عقلاء ونزل تحريمها وكراهتها في الشرع الإلٰهي.

والمعصية التشريعية هي المخالفة القانونية التشريعية كترك الصلاة وقطيعة الرحم وغِيبة المؤمن ومعونة الظالم على ظلمه إلى غير ذلك كما سيأتي.

والمعصية الأخلاقية هي الأفعال السلوكية التي لها دور في إفساد النفس وقسوتها وضلالها عن الحقيقة، والتي تبعِّد عن الدين وتمنع من تحصيل الثواب الكبير الأخروي كترك تزكية النفس وترك ذكر الله والغضب المفرط والبخل والجبن وغير ذلك.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

ويمكن تقسيم المفاسد والمخاطر إلى أقسام منها:

١ ـ مفاسد ترتكب بحق الله تعالى.

٢ ـ مفاسد ترتكب بحق الذات وقِيَمها.

٣ ـ مفاسد ترتكب بحق المجتمع والوطن وقِيَمهما.

٤ ـ مفاسد ترتكب بحق الأفراد وقِيَمهم.

ويمكن تلخيص نظرة الإسلام إلى المعاصي والمفاسد في عدة نقاط:

١ ـ إن الذنوب والمفاسد محرمة سواء في السرّ أو العلانية.

٢ ـ الذنوب بنتائجها وآثارها مدمِّرة للفرد باعتبارها السبب في مرض وفساد قلبه ونفسه، والأمراض النفسية خفية وغير ظاهرة لصاحبها وهي أشد فتكاً من الأمراض العضوية. وإذا ما مرضت النفس فلسوف تقتحم الشهوات من دون ضوابط وسوف تضِلُّ في طلب الحقيقة ولا تعمل إلَّا ضمن مصالحها الشخصية وتتنكّر للقِيم الإنسانية، قال الإمام علي عليه السلام: «ما جفَّت الدموع إلا لقسوة القلوب وما قست القلوب إلَّا لكثرة الذنوب»[1]

وقال الصادق عليه السلام: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء فإذا تاب انمحت وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»[2].

---

(١) (ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٦٤).

(٢) (المصدر السابق).

٣ ـ المفاسد والذنوب بنتائجها وآثارها مدمِّرة للمجتمع والبيئة كما في الآية المباركة السالفة، فهي سبب لشيوع الظلم وتسلط الظالمين وعدم إقامة العدل وظهور الفتن والانقسام داخل المجتمع وشيوع سلطة الأقوى ضمن شريعة الغاب وعندها لا سعادة ولا أمن ولا استقرار.

قال الرسول ﷺ: «لا تزال أمتي بخير ما أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وتعاونوا على البرّ، فإذا لم يفعلوا ذلك نُزعت منهم البركات، وسُلِّط بعضهم على بعض، ولم يكن لهم ناصر في الأرض ولا في السماء»[١].

وكما ورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «الذنوب التي تحبس غيث السماء جور الحكام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة»[٢].

وكما قال الإمام علي عليه السلام في دعاء كميل:

«اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تهتك العصم،

اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُنزل النقم،

اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُغيِّر النِّعم،

اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تحبس الدعاء،

اللَّهُمَّ اغفر لي الذنوب التي تُنزِل البلاء»[٣].

---

(١) تحرير الوسيلة، ج١، ص ٤١٧.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٤٦٩.

(٣) مفاتيح الجنان، ص ٩٥.

وقد عمل الإسلام في المنهج التربوي على استئصال الذنوب بالتخويف منها ومن آثارها كما تقدم وأنزل قانون العقوبات ووضع البرامج التربوية المساعدة على تزكية النفس وحمايتها من التلوث بالذنوب وفتح باب التوبة على مصراعيه، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1]، وكما قال الإمام علي عليه السلام:

«الذنوب الداء والدواء الاستغفار والشفاء أن لا تعود»[2].

وقد عدَّد علماؤنا الكبائر في الرسائل العملية للحذر منها وهي:

١ ـ اليأس من رَوْح الله.

٢ ـ الأمن من مكر الله.

٣ ـ الكذب على الله ورسوله وأوصيائه.

٤ ـ قتل النفس التي حرمها الله إلا بالحق.

٥ ـ عقوق الوالدين.

٦ ـ أكل مال اليتيم ظلماً.

٧ ـ قذف المحصنة.

٨ ـ الفرار من الزحف.

٩ ـ قطيعة الرحم.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٥٣.

(٢) قصار الجمل، ج٢، ص ٩٧.

١٠ ـ السحر.

١١ ـ الزنا.

١٢ ـ اللواط.

١٣ ـ السرقة.

١٤ ـ اليمين الغموس. (الكاذبة الفاجرة).

١٥ ـ كتمان الشهادة.

١٦ ـ شهادة الزور.

١٧ ـ نقض العهد.

١٨ ـ الحيف في الوصية. (الظلم ).

١٩ ـ شرب الخمر.

٢٠ ـ أكل الربا.

٢١ ـ أكل السحت. (ما لا يحلّ كسبه).

٢٢ ـ القمار.

٢٣ ـ أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله من غير ضرورة.

٢٤ ـ البخس في الميزان والمكيال.

٢٥ ـ التعرُّب بعد الهجرة. (كالهجرة إلى بلدٍ يخاف فيها على دينه).

٢٦ ـ معونة الظالمين.

٢٧ ـ الركون للظالمين.

٢٨ ـ حبس الحقوق من غير عذر.

٢٩ ـ الكذب.

٣٠ ـ الكبر.

٣١ ـ الإسراف. (بذل المال زيادة على المطلوب).

٣٢ ـ التبذير. (وضعُ المال في غير محلِّه).

٣٣ ـ الخيانة.

٣٤ ـ الغيبة. (ذكر المؤمن بما يؤذيه في ظهر الغيب مع وجود ذلك العيب المستور فعلاً).

٣٥ ـ النميمة. (نقل كلام الغير إلى المقول فيه).

٣٦ ـ الاشتغال بالملاهي.

٣٧ ـ الاستخفاف بالحج.

٣٨ ـ ترك الصلاة.

٣٩ ـ منع الزكاة.

٤٠ ـ الإصرار على الصغائر من الذنوب. (مثل الإصرار على إظهار بعض الشعر من المرأة).

وأما الإشراك بالله تعالى وإنكار ما أنزله ومحاربة أوليائه فهي من أكبر الكبائر، لكن عدها من التي يعتبر اجتنابها في العدالة مسامحة[1].

---

(١) تحرير الوسيلة، ج١، ص ٢٤٢.

# الحاجة إلى ضمانة العيش المشترك

إن الإنسان يمتلك من الأحاسيس الفطرية كحب الراحة الخالصة والاستقرار والميل للسعادة المطلقة، وهذه الأحاسيس مخلوقة في النفس وحقَّة، لا كذب فيها كما هو حال إحساسنا بالبرد والخوف والجوع... وهي البوصلة الداخلية التي تشدنا نحو الآخرة التي هي دار تحقق تلك الآمال والأحاسيس لأنها دار السعادة الأبدية المطلقة والراحة الخالصة. أما الدنيا فهي ميدان غلبة المصالح ومسرح الامتحان المشوب بالشقاء والهم والحزن والتعب، فلا لقمة تستساغ من دون تعب ولا عافية إلَّا وهي مقرونة بالأمراض ولا ابتسامة إلَّا وهي ملحوقة أو مسبوقة بدمعة وهكذا.

ألا ترى أن الإنسان يكابد المشاكل الطبيعية والاجتماعية ليقضي بعد ذلك لحظات من المتعة واللذة ثم بعد ذلك يغرق في النوم نتيجة لإرهاقه وتعبه، وبعد فترة استراحته ينهض من جديد ليواجه مرة أخرى تلك المتاعب والمشاكل، فيبذل أقصى جهوده

من أجل الحصول على لقمة العيش ثم ليتمتع للحظات قليلة بتناولها وبعد ذلك لا شيء...»[1].

إن واقع الحياة هذا لا يعني الحرمان من تجربة اجتماعية متناسبة ولا يعني الشقاء وعدم تحقق السعادة في الأرض، كيف وأنه لا آخرة من دون دنيا ومن أهم الأعمال التي أوكلت للإنسان في الدنيا هي إقامة دولة العدالة والنظام الصالح في المجتمعات كما هو مطلوب كل العقلاء، ومن هنا نقول إن السعادة النسبية مطلوبة التحقق، وهي مقدمة لسعادة الأبد في الآخرة. وهذه السعادة في الدنيا تارة نتصورها في نظام الدولة وأخرى في نظام الجماعة المحدودة وثالثة ضمن الأسرة وأفرادها، والآمال معقودة على إقامة المدينة الفاضلة في كل الأرض، حيث تكون التجربة الإنسانية في أوج نجاحها وانتصارها، وأمّا متى يتحقق ذلك؟ فالقدر المتيقن هو بالبشارة والوعد الإلهي المحتوم في زمن القائم من آل محمد (عج) كما دلّت على ذلك النصوص القرآنية الواضحة. كما قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾[2].

---

(١) راجع دروس في العقيدة الإسلامية، ج٣، ص ٤٠٠.
(٢) سورة النور، الآية: ٥٥.

بالإضافة إلى تواتر الروايات الدالة على تحقق الهدف الإلٰهي الكبير في الدنيا بإقامة دولة الحق العادلة، كما في هذه الرواية:

«لو لم يبق من الدهر إلَّا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما مُلئت جوراً»[1].

وحتى يتحقق هذا الأمل الكبير لا بدَّ من التمهيد لذلك بعدة أُمورٍ منها إقامة علاقات سليمة بين الأفراد في مسيرة إصلاحية شاملة، وهذا يتوقف على وجود ضمانات تربوية في الأفراد والجماعة، إذا ما توفرت خفَّفت الكثير من المشاكل التي تعيق إقامة مشروع العدالة وحقَّقت الهدف بأقل الخسائر.

وإذا ما انعدمت هذه الضمانات فلسوف يحصل الكثير من المشاكل والإعاقات إلا أن هذا لا يعني بتر العلاقات مع الآخر فإنه لا غنى عن الآخر، وأفضل الحلول هو بالأحكام الثانوية بعد غياب الأحكام الأولوية وللضرورات أحكامها، وعندئذٍ:

فإن كانت العلاقة مع الجهّال واستحال تعليمهم فالعلاقة معهم ضمن سياسة غض النظر والتغافل مثلاً، وإن كانت العلاقة مع طرفٍ عدواني مراوغ وغير مَرِن فالمعاملة معه ضمن شرائط قانونية مشدّدة وقابلة لكي تكون تحت رعاية المحكمة القضائية وبين هذا وذاك لا بدَّ من سياسة الحذر والحيطة والتنبُّه الدائم في

---

(١) راجع دروس في العقيدة الاسلامية ج٣، ص٤٠٠.

العلاقة مع الآخر ما دام هذا الآخر قابل للنسيان والخطأ كما أنه قابل للانحراف ولو في لحظة الانفعال ما دامت النفس أمارة بالسوء ومن ورائها شيطانها.

وكلنا آمال في أن تشيع الضمانات بين الأفراد والجماعات كما يليق ذلك بمقام إنسانية الإنسان، والتي لا يَخْضَرُّ لها عود ولا يفوح لها عطر وأريج إلا من خلال هذه الضوابط الخلقية، وكلما تصفَّحنا في هذه الضوابط في أداء الفرد كلما وجدنا للإنسانية أثراً وروحاً في حركة الإنسان، ومن دونها لا يبقى للإنسان إلا الصورة الظاهرية وفي واقعه ينضم إلى قافلة الحيوانات التي لا تفهم إلَّا شريعة الغاب، وكم له من روعة إنسانية عندما نقرأ الإرشادات العشرة لكيفية تحسين الأداء فإنك لا ترى سوى بعداً من أبعاد الإنسانية يشمخ جمالاً وأناقة فوق كل العوالم الحيوانية، وإليك نموذجه:

## الإرشادات العشرة لكيفية تحسين الأداء

ابتسم SMILE.

كن هادئاً BE CALM.

افهم المشكلة KNOW THE PROBLEM.

تعلم الإصغاء LEARN TO LISTEN.

تكلم ببساطة SAY IT SIMPLE.

ميِّز بين المعقول وغير المعقول
DISTINGUISH SENSE FROM NONSENSE.

تعلم أن تسأل LEARN TO ASK QUESTION.

اعترف بالخطأ ADMIT MISTAKES.

اقبل بالتغيير كشيء حتمي
ACCEPT CHANGE AS INEVITABLE.

ثم ابتسم MORE SMILE.

## الضوابط والحدود على نوعين:

١ ـ الضوابط والحدود الفردية.

٢ ـ الضوابط والحدود الاجتماعية.

(١)

# الضوابط والحدود الفردية

# الضوابط والحدود الفردية:

١ ـ الاتزان والعقلانية.

٢ ـ المعرفة بأهل زمانه.

٣ ـ اللياقة الأخلاقية.

٤ ـ حسّ الرقابة الإلٰهية.

٥ ـ المعاتبة للذات.

٦ ـ الوضوح والصراحة.

٧ ـ الموقف المسؤول.

٨ ـ ثقافة الحياة.

٩ ـ تقبُّل الآخر.

١٠ ـ عدم تجاوز الحدود.

١١ ـ المنافسة في الخيرات.

١٢ ـ المرونة.

١٣ ـ الحب لله ولمحمد وآل محمد.

١٤ ـ التربية وخفض الجناح.

١٥ ـ الشجاعة والممانعة.

١٦ ـ إفشاء السلام.

١٧ ـ إنصاف الآخر من النفس.

١٨ ـ البر والإحسان.

## ١ ـ الاتزان والعقلانية

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾[(١)].

عُرِّف العقل بأنه نور في القلب يعرف الحق والباطل وقِيل العقل جوهر مجرّد عن المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف[(٢)].

وجاء في حد العقل أنه قوة تقضي على جميع القوى بالخطأ أو الصواب[(٣)].

والشخصية العاقلة المتزنة هي التي توازن بين خير الأمور وشرها وبين فساد النتائج والعواقب وصلاحها. وببركة العقل أُعطيت هذه الكرامة للإنسان وأُهِّل لإعمار الأرض وتشييد صرح الحضارة.

---

(١) سورة الروم، الآية: ٨.
(٢) كتاب التعريفات، ص ٦٥.
(٣) الحدود والفروق، ص ٧٠.

**ومن علامات العاقل أمور:**

١ ـ مداراة الناس والتماشي مع مستوى إدراكهم والتعايش معهم بنظرة التسامح وغض النظر ومخاطبتهم بقدر عقولهم.

وقال الإمام علي عليه السلام: «عنوان العقل مداراة الناس»[(١)].

٢ ـ وضع الأمور في محلها.

قال الإمام علي عليه السلام: «العاقل من أحسن صنايعه ووضع سعيه في مواضعه»[(٢)].

٣ ـ طلب الكمال.

قال الإمام علي عليه السلام: «العاقل يطلب الكمال»[(٣)].

٤ ـ عدم التفريط في العنف وعدم القعود عن الضعف.

قال الإمام علي عليه السلام: «العاقل لا يفرط به عنف ولا يقعد به ضعف»[(٤)].

٥ ـ استرشاد العقل ومخالفة الهوى.

قال الإمام علي عليه السلام: «استرشد العقل وخالف الهوى تُنجِح»[(٥)].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٥٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، ص ٥١.

٦ ـ النظر في عواقب الأمور والرضا بالقضاء.

قال الإمام علي عليه السلام: «حد العقل النظر في العواقب والرضا بما يجري به القضاء»[١].

٧ ـ طاعة الله والقرب منه.

قال الإمام علي عليه السلام: «أعقل الناس أطوعهم لله سبحانه،

أعقل الناس أقربهم من الله»[٢].

٨ ـ طاعة العقلاء والاستشارة.

قال الإمام علي عليه السلام: «أعقل الناس من أطاع العقلاء»، «حقّ على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأي العقلاء ويضمُّ إلى علمه علوم الحكماء»[٣].

٩ ـ إعذار الناس.

قال عليه السلام: «أعقل الناس أعذرهم للناس»[٤].

١٠ ـ الابتعاد عن الدنية.

قال عليه السلام: «أعقل الناس أبعدهم عن كل دنيّة»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٢ـ٥٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٥) المصدر السابق.

١١ ـ التبصُّر بعيوب نفسه والعمى عن عيوب غيره.

قال عليه السلام: «أعقل الناس من كان بعيبه بصيراً وعن عيوب غيره ضريراً»[1].

١٢ ـ يعاقب الجهّال بالصمت.

قال عليه السلام: «أعقل الناس من لا يتجاوز الصمت في عقوبة الجهّال»[2].

١٣ ـ الذلّ للحق والاعتزاز به.

قال عليه السلام: «أعقل الناس من ذَلَّ للحق فأعطاه من نفسه وعزّ بالحق فلم يُهِن إقامَته وحُسْنَ العمل به»[3].

١٤ ـ الاعتراف بالجهل.

قال عليه السلام: «غاية العقل الاعتراف بالجهل»[4].

١٥ ـ السعادة والسلامة والغنى.

قال عليه السلام: «أسعد الناس العاقل».

«أصل العقل الفكر وثمرته السلامة».

«ثروة العاقل في علمه وعمله»[5].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، ص ٥١ـ٥٢.

١٦ ـ إصلاح الأمور.

قال عليه السلام: «بالعقل صلاح كل أمر»[١].

١٧ ـ الحذر وعدم الانخداع.

قال عليه السلام: «العقل يوجب الحذر» و«العاقل لا ينخدع»[٢].

١٨ ـ يألف ويؤلف.

قال عليه السلام: «العقل حيث كان آلف مألوف»[٣].

١٩ ـ الحكمة والعفّة.

قال عليه السلام: «بالعقل يستخرج غورُ الحكمة» و«من عقل عفّ»[٤].

٢٠ ـ العمل والإخلاص.

قال عليه السلام: «العاقل إذا علم عَمِل وإذا عمل أخلص وإذا أخلص اعتزل»[٥].

٢١ ـ ملك النفس عند الغضب وعند الرغبة.

قال عليه السلام: «العاقل من ملك نفسه إذا غضِب وإذا رغب وإذا رَهِب»[٦].

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١.
(٢) المصدر السابق، ص ٥١ـ٥٢.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٢.
(٤) المصدر السابق، ص ٥٢ـ٥٣.
(٥) المصدر السابق، ص ٥٤.
(٦) المصدر السابق.

٢٢ ـ الاتعاظ بالأدب.

قال عليه السلام: «العاقل يتعظ بالأدب والبهائم لا تتعظ إلّا بالضرب»[١].

٢٣ ـ العمل للمعاد والاستكثار من الزاد.

قال عليه السلام: «حق على العاقل العمل للمعاد والاستكثار من الزاد»[٢].

٢٤ ـ الاستعبار.

قال عليه السلام: «إنما البصير من سمع ففكر ونظر فأبصر وانتفع بالعبر»[٣].

٢٥ ـ يتعاطى مع الجاهل كتعاطي الطبيب مع مريضه.

قال عليه السلام: «ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب المريض»[٤].

٢٦ ـ احترام الرأي الآخر.

قال عليه السلام: «ألا وإنّ اللبيب من استقبل وجوه الآراء بفكر صائب ونظر في العواقب»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٤ـ٥٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٥.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

٢٧ ـ اتهام رأيه وعدم الثقة بكل ما تسوله النفس.

قال عليه السلام: «العاقل من اتّهم رأيه ولم يثق بكل ما تسوِّل له نفسه»[١].

٢٨ـ الاقتصاد.

قال عليه السلام: «العقل أنك تقتصد فلا تسرف وتعد فلا تخلِف وإذا غضبت حَلُمْت»[٢].

٢٩ ـ الاجتهاد وتقصير الآمال.

قال عليه السلام: «العاقل يجتهد في عمله ويقصِّر من أمله»[٣].

٣٠ ـ غلبة الصمت.

قال عليه السلام: «العاقل من عقل لسانه إلا من ذكر الله»[٤].

٣١ ـ عدم ارتكاب المعاصي.

قال عليه السلام: «العاقل من تورَّع عن الذنوب وتنزّه عن العيوب»[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٤.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

## ٢ ـ المعرفة بأهل زمانه

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾[١].

قال الإمام علي عليه السلام: «أعقل الناس أعذرهم للناس»[٢].

إن من صفات المرء السوي التفاعل مع أهل زمانه ومحيطه لأنه جزؤهم ولا يمكن الاستغناء عنهم، والنجاح النسبوي لتجربته معهم تابع لمدى معرفته بأهل زمانه فيعرف كيف يتعامل مع الكبير والصغير والضعيف والقوي والسليم والمريض والعادي وذي الشأن، ويعرف أيضاً كيف يتعاطى مع الجهات العامة كالمؤسسة والدولة فضلاً عن الأسرة. ويمكن أن نحدِّد عدة نقاط في شخصية العارف بأهل زمانه:

١ ـ لديه مفهوم الشراكة في الحياة مع الآخر ولديه الحسّ الاجتماعي.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٥٢.

٢ ـ كلما كبُر به السنّ كبرت وازدادت ثقافته بالحياة وأصبح من أصحاب التجربة فيها.

٣ ـ التمييز بين أفراد مجتمعه ليعطي كل فرد حقَّه ويتعامل معه بحسبه.

٤ ـ الأصل لديه التعايش لا التصادم.

٥ ـ المعرفة بالعادات والتقاليد، فيحذر من الوقوف في المواقع المستهجنة ويتجنب ما يخالف المروءة ويدع الأباطيل وقد يضطر إلى محاربتها.

٦ ـ إتقان فن وسائل الوصول إلى الهدف الإنساني، فيضع الخطط لهداية الضال والمنحرف في عملية إصلاحية واعية ومعقولة وضمن خطوات مع مراعاة الأولوية، ويضع الخطط لإنجاح العلاقة مع أهل الصلاح حذراً من انقطاعها.

٧ ـ الاستفادة من كل ظرف مؤاتٍ كي يفعِّل علاقته بالآخر، فيستفيد من حالة حزنٍ أو فرحٍ ليكون ذلك سبباً في فتح العلاقة البنّاءة معه أو تقويتها من أجل الهدف الصالح.

٨ ـ المساهمة في الأعمال الإنسانية الخدماتية، والتي تقع في ظرفها الزماني وفي محلِّها، كإنشاء صندوق تعاضدي مع الفقراء والمساكين أو بناء مأوى العجز أو مساهمةٍ في دفع المعونات الصحية وإلى غير ذلك.

٩ ـ التمتع بلياقات الصبر وسعة الصدر وهدوء البال والمداراة الشريفة ضمن الهدف الإنساني.

إن المعرفة بأهل الزمان والظروف المحيطة لها دورها الأساس في تفعيل العلاقة مع الآخر والإقلال من الصدامات والسلبيات والمنفِّرات، بحيث تتجه هذه العلاقة بخطوات ناجحة ضمن الأهداف لترسيخ مفهوم العيش المشترك أكثر فأكثر.

فإنّ الفقير يتقوى بمن يقف إلى جانبه معيناً.

والمريض يتنفس الصعداء عندما يتحسس حرارة يد الحنان تمتد إلى رأسه.

واليتيم تعود له الحياة من جديد بمشروع التكفُّل.

والتائه عن درب الهداية يعود إلى رشده بالحوار والمناقشة.

والزوجة تتغلب على شقائها عندما تحسِن سياسة المداراة لزوجها.

والزوج تنجح إدارته بحُسْن مخاطبة زوجته.

والأولاد تحسُن تربيتهم ونشأتهم عند وضع الخطة التربوية الصالحة.

والجندي يستبسل في الدفاع عن وطنه عندما يرى احترام الناس له.

والمقاوم يزداد اطمئناناً عندما تحضن قضيته شرائح المجتمع، وهكذا...

إن هذه النماذج وغيرها من الأفعال وردّات الفعل متأثرة بمفهوم المعرفة بأهل الزمان ومحيطهم ولها مردودها كتقوية العلاقات مع الآخر حتى لو كان جهة، فإنَّ حُسْن العلاقة مع المستضعفين يؤسِّس في بناء جيل التعبئة العامّة للدفاع عن الوطن والمقدّسات، وقد يؤسس لقيام الحركات المناهضة للأفكار المفسدة والرجعية تحت قيادة حكيمة.

ولها مردودها في ترشيد الوضع التربوي للأولاد وللأسرة عندما تراعى الظروف الزمانية المتغيِّرة كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم»[١] ولها مردودها في التخطيط والممارسة في العمل المؤسساتي لأن المؤسسة سواء كانت اقتصادية أو غيرها إذا ما راعت الظروف الزمانية والمكانية كان الأفضل لها في الإفادة والاستفادة.

ومن يداري الآخر هو العارف بظروف هذا الآخر فيعرف كيف يتعاطى، ومتى ينتقد ويخالف ومتى يتجاهل ومتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكيف يمدّ جسور المحبة وكيف يخدم

---

(١) قصار الجمل، ج٢، ص ٣٢٨.

وكيف يحذر من الظلم وما هي الأولويات وما هي الطرق الموصلة إلى الهدف بأقل الخسائر. . . .

ويبقى أنه لا بدَّ من التفريق بين أمرين: بين المداراة والنفاق. فإن المداراة هي مؤيدة من قبل العقل والشرع بينما النفاق مذموم لدى العقل والشرع.

والمداراة هدفها إنساني وهو تقريب الآخر وإزالة المنفِّر من دربه وليس لها إلا وجه واحد في الحضور والغياب. أما النفاق فهدفه شيطاني وهو إخفاء الحقيقة وإظهار ضدها لإيقاع الآخر في الالتباس.

والمنافق مزدوج اللسان والوجه، يمدح في الحضور والوجه مبتسم ويذم في الغياب والوجه مكفهِّر يعاشر ليتجسَّس.

والمداري يعاشر ليهدي وما في قلبه يجري على لسانه وإن أخفى أموراً فهو لمصلحةٍ ما لكنه لا يستعمل اللسانين ولا يظهر الوجهين وإن سكتَ فلأنَّه ينتظر الفرصة الملائمة بحسب ما تقتضيه الحكمة.

وبين أيدينا عدة نصوص عن الإمام علي عليه السلام تظهر قيمة المعرفة بأهل الزمان:

١ ـ أعقل الناس من أطاع العقلاء.

٢ ـ أعقل الناس من لا يتجاوز الصمت في عقوبة الجهّال.

٣ ـ ثمرة العقل مداراة الناس.

٤ ـ لا عقل كالتجاهل.

٥ ـ لا يَحْلُمُ عن السفيه إلا العاقل.

٦ ـ نظام الفتوة احتمال عثرات الإخوان وحسن تعهد الجيران.

٧ ـ شرط المصاحبة قلة المخالفة.

٨ ـ خالطوا الناس مخالطة إن مِتُّم بكوا عليكم وإن غبتم حنّوا إليكم.

٩ ـ لا تسئ الخطاب فيسؤك نكير الجواب.

١٠ ـ الأيام تفيد التجارب.

١١ ـ خير الناس من نفع الناس.

١٢ ـ مداراة الرجال من أفضل الأعمال.

١٣ ـ من عامل الناس بالمسامحة استمتع بصحبتهم[١].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٥٢ ـ ٥٥، ٤٣٦ ـ ٤٣٨، ٤٤٢ ـ ٤٥٧.

## ٣ ـ اللياقة الأخلاقية

قال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[(١)].

إن الملكات الحسنة الموجودة في النفس والتي يطلق عليها الغرائز الفطرية هي من أروع الصور الإبداعية في تكوين الإنسان والتي تشبه البوصلة التكوينية الداخلية والتي توجِّه الإنسان نحو الكمال الاختياري والإرادي والتي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام بقوله:

«إن الله خصّ رسوله صلى الله عليه وآله بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وارغبوا إليه في الزيادة منها فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحِلْم وحُسن الخُلُق والسخاء والغيرة والشجاعة والمروءة»[(٢)].

---

(١) سورة فاطر، الآية: ١٨.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٤٨.

والرواية ناظرة إلى الأخلاق العملية الوجودية التي تحصل بعد الممارسة والترويض والتربية الصالحة والمجاهدة.

وهذه المكارم الأخلاقية مودعة كقابلية في النفس وقابلة للنمو والتطور والتربية، ومضمار السباق هو في تحويل هذه القابليات إلى ملكات فعلية تصدر من الفرد من دون تكلُّف وعناية.

وكل هذه المكارم ترجع إلى أربعة أصول كما قال الإمام علي عليه السلام: «الفضائل أربعة أجناس:

أحدها: الحكمة وقوامها في الفكرة،

والثاني: العفَّة وقوامها الشهوة،

والثالث: القوة وقوامها في الغضب،

والرابع: العدل وقوامها في اعتدال قوى النفس»[1].

فإن الحكمة هي التي نميِّز بها بين الصالح والفاسد، والعفَّة هي فضيلة النفس الشهوية، والقوة والشجاعة هي فضيلة النفس الغضبية، والعدالة هي التي ترعى الفضائل الثلاث، وهذا التوازن يكشف عن لوحة فنية عظيمة في خلقة الإنسان ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[2] وهذه المكارم الخلقية المساعدة على

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص١٤٥.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

كمال النفس ورشدها والتي من خلالها ترتسم الصورة الإنسانية للإنسان إذا ما تحولت إلى فضائل وآداب سلوكية تكون واحدة من أسباب النعيم الأبدي في الجنة والتي هي ثلاثة:

١ ـ الأعمال الصالحة كالصلاة والصوم والجهاد وغيرها مما أرشدنا إليها شرع الله.

٢ ـ الأخلاق الحسنة والآداب المهذِّبة وهذه محطُّ موضوعنا.

٣ ـ العقائد والمعارف الحقة والتي يعبَّر عنها بأصول الدين الخمسة.

وهذه المكارم والمهذبات للنفس الإنسانية تحتاج إلى أسباب عديدة في نموها ورشدها وتزكيتها، منها:

١ ـ التربية الصالحة داخل الأسرة وفي المؤسسة الخاصة وفي الآداب العامة في الشارع وهذه كلها تترشد بوعي أرباب الأُسَر والمؤسسات والدولة.

٢ ـ العشرة الصالحة والمخالطة بأهل الخير والصلاح.

٣ ـ الأخذ بسنن الشرع المقدس والتي أوصلها لنا أئمة أهل بيت العصمة عليهم السلام والتي أرشدنا إليها العلماء الصالحون.

وفي علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان لا بدَّ من إضفاء هذه الآداب ومكارم الأخلاق حتى نحصل على ضمانة العيش المشترك

وحتى نتجنب لغة شريعة الغاب والتي يغلب عليها المصلحة الفردية والسيطرة للأقوى.

ولكي نقوم بنهضة إصلاحية داخل المجتمعات لا بدَّ أن نبدأ بإعادة الفرد والمجتمع إلى أسس الفضيلة والمكارم.

وحبذا لو نعمل على إنشاء المعاهد الدراسية التي تعتني بالأخلاق على غرار المعاهد الأكاديمية والمصحّات العقلية والطبية والتي هي من أفضل ما أنتجته حضارة الإنسان، لأن تقويم المنحرف والضال في منتجعات أخلاقية لا يقل أهمية عن تلك الأنشطة بل قد يقال بالأهمية، لأن الأخلاق تضمن سلامة أي اختصاص آخر ومهما كان نوعه.

ومع حرماننا من هذه المنتجعات الخلقية، يمكن أن يكون البديل هو بيوتنا ومؤسساتنا الأهلية، والأنشطة التي يرعاها رجال الدين، ونتمنى أن تأخذ التعاليم الأخلاقية بُعدها في الحوار بين الديانات وبالأخص بين الإسلام والمسيحية، وبين أيدينا إضاءات في مكارم الأخلاق من كلام أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١ ـ أرضى الناس من كانت نفسه رضية.

٢ ـ حسن الخُلُق للنفس وحسن الخَلْق للبدن.

٣ ـ تخيَّر لنفسك من كل خُلُق أحسنه فإن الخُلُق عادة.

٤ ـ حسن الخلق دين.

٥ ـ ما أعطى الله سبحانه العبد شيئاً من خير الدنيا والآخرة إلّا بحُسْن خُلُقه وحُسْن نيته.

٦ ـ بحسن الخُلُق يطيب العيش.

٧ ـ بحسن الخُلُق تدرُّ الأرزاق.

٨ ـ من حسن خُلُقه سهُلتْ له طرقه[١].

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٥٣ـ٢٥٥.

## ٤ ـ حس الرقابة الإلهية

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاؤُا﴾[١].

﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾[٣].

إن الخائف من عذاب ربه هو ذلك الذي بلغ بإيمانه الدرجة العالية ودان الله بدين الحق وآمن بيوم الحساب فهو من جهة يعيش في كرم الله تعالى وأنعامه ويرتع في رحمته وعطائه وعطفه ومن جهة يجب عليه طاعة الله وشكر نعمائه، فإذا لاحظ الكرم والرحمة تعلق قلبه بها وإذا لاحظ تقصيره في شكر الله وعبادته خاف فوت المحبوب لديه وإذا تصوَّر معاصيه وذنوبه خشي من وقفة الحساب يوم القيامة، فهو بين ذا وذا خائف مشفق وطامع راجٍ يتقلب في

---

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

(٢) سورة هود، الآية: ٣.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

حالتيهما كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»[1].

قال الإمام الخميني في المقام:

«فتحُ باب العبادة والعبودية من النعم الكبرى التي تدين بها الكائنات كافة دون أن تستطيع الوفاء بحق الشكر، بل إن كل شكر هو فتح باب كرامة لا نقدر على شكره أيضاً، فإذا علم الإنسان مشربه هذا واطّلع قلبه عليه اعترف بالتقصير. . . كما يقول أحدهم: الناس تخاف النهاية وأنا أخاف البداية.

ثم يقول:

إلهي وربي إن أيدينا عن كل شيء قاصرة ونحن عارفون بأننا ناقصون وتافهون ولا نملك ما يليق بأعتاب قدسك كلنا نقص وعيب ظاهرنا وباطننا ملوث بالمهالك والموبقات، فمن نحن حتى نرجو القدرة على الثناء عليك فيما يعترف الولي من أوليائك قائلاً: (أفبلساني الكالّ أشكرك) مقراً بعجزه وقصوره فكيف بنا نحن أهل المعصية المحجوبين عن ساحة كبريائك. . .»[2].

وتربية النفس على الخوف من عذاب يوم عظيم تكون بعدة أمور منها:

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ٢٢٠.

(٢) المصدر السابق، ص ٢١٨.

١ ـ المواظبة على ترويض النفس على خصلة الخشية من الله تعالى باستحضار الهيبة الإلهية وعظمة جبروته وأخذه الشديد لمن عصاه وعذاب القبر والبرزخ واجتياز الصراط وعظمة يوم الموقف والحساب.

٢ ـ المواظبة على قراءة الأدعية وعلى الأخص أدعية الصحيفة السجادية، وفيها ما يذوِّب جليد النفس ويدبّ الحياة في عيدانها الميتة، ناهيك عن دعاء كميل المنتجع الروحي الأسبوعي.

قال الإمام زين العابدين عليه السلام في دعاء الرهبة:

«. . . فلولا المواقف التي أؤمِّل من عفوك الذي شمل كل شيء لألقيت بيدي، ولو أن أحداً استطاع الهرب من ربِّه لكنت أنا أحق بالهرب منك، وأنت لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء إلا أتيت بها. . . اللهم إنك طالبي إن أنا هربت ومدركي إن أنا فررت، فها أنا ذا بين يديك خاضع ذليل راغم إن تعذبني فإني لذلك أهل وهو يا ربِّ منك عدل وإن تعفُ عني فقديماً شملني عفوك وألبستني عافيتك فأسألك اللهم. . . إلا رحمت هذه النفس. . . التي لا تستطيع حرّ شمسك فكيف تستطيع حرّ نارك، والتي لا تستطيع صوت رعدك فكيف تستطيع صوت غضبك. . .»[1].

(١) الصحيفة السجادية، دعاء الرهبة.

٣ ـ الموازنة بين نظرتين على الدوام:

أ ـ نظرة النقص إلى الذات وكل الكائنات، والكل يعيش في ذلّ الافتقار إلى الله تعالى.

ب ـ نظرة الكمال والجمال إلى الله تعالى رب الأرباب الذي بسط بساط رحمته على كل شيء.

وبهاتين النظرتين يعتدل التوازن بين المخلوق المفتقر والمحتاج إلى ربه وبين الخالق الغني الرحمٰن الرحيم، وعندها تهيم نفس العبد في عالم خشية الله والخوف من غضبه، والعبد الخائف من يوم حسابه هو عنصر خير وبركة في مجتمعه لأنه كالورد الجوري داخل الحقول فلا يزيدها إلا جمالاً وكمالاً فهو لا يغتاب ولا يعتدي ولا يظلم وهو الصادق المؤتمن والوفي والشجاع وهو للصفح والعفو أقرب وللمداراة أسرع وهو البركة على من حلَّ في داره.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمن بين مخافتين ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله به وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فهو لا يصبح ولا يمسي إلا خائفاً ولا يصلحه إلا الخوف»[١].

ومن ثمرات الخوف من عذاب الله تعالى:

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٢١.

١ ـ إنه يشكل الرادع الذاتي عن مخالفة القانون والتشريع، كما قال الإمام علي عليه السلام: «نعم الحاجز عن المعاصي الخوف»[1].

٢ ـ أثابه الله بالجنة كما قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[2].

٣ ـ أعطاه الله الأمان من كل شيء كما قال الإمام علي عليه السلام: «من خاف الله آمنه الله سبحانه من كل شيء»[3].

٤ ـ الحذر. كما قال الإمام علي عليه السلام: «ارهب تحذر»[4].

٥ ـ عدم الظلم، كما قال الإمام علي عليه السلام: «من خاف ربَّه كفَّ عن ظلمه»[5].

خشوع الجوارح، كما قال عليه السلام: «من خشع قلبه خشعت جوارحه»[6].

٧ ـ الإقلال من الأخطاء وصدورِ ما يفسد.

قال عليه السلام: «من كثرت مخافته قلت آفته»[7].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٣، ص ١٨٣.
(٢) سورة الرحمٰن، الآية: ٤٦.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ١٩١.
(٤) المصدر السابق، ص ١٩٠.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق.

٨ ـ البكاء من خشية الله تعالى، قال عليه السلام:

«بكاء العبد من خشية الله يمحِّص ذنوبه»[١].

٩ ـ عبادة الله. قال عليه السلام:

«نعم العبادة الخشية»[٢].

١٠ ـ جِماع الإيمان. قال عليه السلام:

«خشية الله جِماع الإيمان»[٣].

١١ ـ اصطفاء الله له. قال عليه السلام:

«إذا اصطفى الله عبداً جلببه خشيته»[٤].

١٢ ـ الغلبة. قال عليه السلام:

«الخوف استظهار»[٥].

---

(١) المصدر السابق، ص ١٩٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٩١.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩٠.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

## ٥ ـ المعاتبة للذات

قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾[١].

والنفس اللوّامة التي يقسم بها الله سبحانه هي النفس التي تكاملت وتأهلت وأصبحت تلوم صاحبها على المعصية والتثاقل في الطاعة وهي التي تنفع صاحبها يوم القيامة[٢].

والمراد من النقد الذاتي هو الالتفات إلى النفس ومواقفها لمعرفة السلوك الحسن من رديئه في ماضي أعماله وفيما سوف يحدث، فيصلح ما يمكنه إصلاحه ويحذر من سقطات في المستقبل مع المواظبة على الإصلاح والصلاح[٣].

والمراقبة للذات أشبه بالنظر إلى المرآة، حيث يظهر فيها الحُسْن والقبح، وعندها يعمل الإنسان على تصحيح ما يستقبحه

---

(١) سورة القيامة، الآية: ٢.
(٢) راجع الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص ١٠٣.
(٣) الخطوط العامة لبنية الفرد الاجتماعية، ص ٣٧.

من نفسه وإصلاح وستر ما يمكن إصلاحه وستره كي تبقى الصورة المرئية فيها هي الصورة الجميلة المقبولة.

ويشير الإمام الخميني إلى حالة التصحيح والإصلاح للنفس بقوله:

«على الإنسان أن يكون مثل الطبيب العطوف الحاذق والممرِّض الشفيق المطَّلع على حالات النفس، يراقب أعماله وتطوراته دائماً ولا يغفل عن ذلك أبداً، وأن يعلم أن ما من مرض أخفى وفي الوقت نفسه أفتك من الأمراض القلبية، وأنه ما من ممرِّض يكون أشفق وأعطف على الإنسان من نفسه»[1].

فالإنسان المراقب لذاته نفسه كالمرآة الصافية التي تعكس صورتها بكل شفافية فإذا ما رأى فيها عيباً مستهجناً لدى الآخرين عكفت على إصلاحه، وبهذه العملية تصبح النفس في علاقتها مع الآخر سليمة مما يعكِّر صفو الآخر ومزاجَه، والنفس التي روّضت ذاتها على نقد ذاتها لم تتحول إلى متجبِّرةٍ متكبِّرة تشمت بما رأته عيناها من عيوب الآخرين، بل تسعى وبكل إنسانية إلى ستر ما رأته ما أمكن لذلك سبيل، وإن قدرت على الإصلاح سعتْ سعي الطبيب لمداواة مريضه.

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ١٥٦.

كما قال الإمام علي عليه السلام: «أفضل الناس من شغلته معايبه عن عيوب الناس»[1].

وقال عليه السلام: «ينبغي للعاقل أن يخاطب الجاهل مخاطبة الطبيب لمريضه»[2].

وقال عليه السلام: «بحسن الأخلاق يطيب العيش»[3].

ويمكن القول: إن الناقد لذاته يكون قد دجَّن إنسانيته ونزع مخالبها وأنيابها وأهَّلها كي تألف وتأتلف، وكانت مخالطتها الإطار المناسب لطيب العيش، وطيب العيش هذا أفضله وأقصاه عندما تكتمل الإنسانية في كل الأفراد، وهذا المستوى هو الأُفُق الذي نطمح إليه جميعاً إلا أنه يحتاج إلى جهد كبير كي يتحقق، ولكن نبقى ننظر إلى طيب العيش في مستواه المعاش به حتى لا نقع في صدمة الواقع.

فإن طيب العيش ننعم به مع الأفراد الخطَّائين، ونلتذ به ما دامت لهم نفس لوَّامة ومراقبة لذاتها وناقدة لها، لأن هذه الثقافة تدعو النفس وعلى الدوام إلى التراجع عن أخطائها وذنوبها بالندم والتوبة ولأجل ذلك كان الخاطئ التائب حبيب الله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾[4]، وهذه أعظم ثقافة تربوية رحيمة

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٣٤.
(٢) المصدر السابق، ص ٥٥.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٥.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.

نادى بها شرع الله تعالى الذي عامل بني الإنسان ونظر إليهم كمجتمع خطّاء وراهن على غلبة الخير فيهم والصلاح ضمن المشروع الإنساني الكبير، وبهذه الثقافة يكون سُرّ نجاح الأسرة والمؤسسة لأنها تقلّل من تكدُّس الأخطاء وتراكمها، وتفتح الآفاق في كل لحظة لعلاقة أمتن وأقوى وأرشد، وما جاء في النقد الذاتي للنفس عن أمير المؤمنين عليه السلام:

- لا تنفع الرياضة إلا في نفس يقظة.
- ضابط النفس عن دواعي اللذات مالك.
- أقمعوا هذه النفوس فإنها طُلَعَةٌ، إن تطيعوها تزغ بكم إلى شرٍّ غاية.
- من اتهم نفسه فقد غالب الشيطان.
- من حاسب نفسه وقف على عيوبه وأحاط بذنوبه واستقال الذنوب وأصلح العيوب.
- مَنْ واخذ نفسه صان قدره وحمد عواقب أمره[١].

(١) تصنيف غرر الحكم، ص٢٣٤ ـ ٢٤٢.

## ٦ ـ الوضوح والصراحة

قال تعالى في ذم النفاق: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾﴾[1].

إن خصلة الوضوح في الإنسان تريح الآخر وتشجُعه على العشرة والتعايش في مقابل الغموض الذي يضطره إلى أن يكون حذراً وقلقاً من جهة وباذلاً لكثير من التكلّف.

فالوضوح هو الصراحة وما في القلب على اللسان، فإذا قال صدَق وإذا حدَّث لم يكذب وإذا وعد وفى وإذا عاهد التزم، وإذا اعتذر كان صادقاً وإذا أخطأ اعتذر.

والصريح هو ذو الوجهة الواحدة في قلبه ولسانه ووجهه، وقد جاء على لسان رسول الله ﷺ وَصْفُ المؤمن بقوله: «الطيف الحركات، حلو المشاهدة، يطلب من الأمور أعلاها ومن الأخلاق أسناها... لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم فيمن

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤.

يحب، قليل المؤنة، غض الطرف، سخيّ الكفّ، لا يرد سائلاً، يزن كلامه، ويخرس لسانه، لا يقبل الباطل من صديقه، ولا يرد الحقّ على عدوّه، ولا يتعلم إلا ليعلم، ولا يعلم إلا ليعمل...»[1].

وآثار الصراحة كثيرة في مقابل آثار التلوُّن كما الآتي:

١ ـ ارتياح الآخر في مقابل قلقه وارتباكه.

٢ ـ شيوع الثقة في مقابل نظرة الريبة والشك.

٣ ـ انتصار القيم والأخلاق على الأنانية والمصالح الضيِّقة.

٤ ـ هناءة العيش في مقابل الشقاء.

٥ ـ الأمن والأمانة في مقابل المكر والخديعة.

٦ ـ رضا الله تعالى على عباده في مقابل سخطه ونقمته.

٧ ـ وضوح العقيدة في مقابل النفاق فيها.

وقد جاء على لسان الإمام الصادق عليه السلام في ذمِّ ذي الوجهين بقوله: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار» وفي توجيه هذا الحديث يقول الإمام الخميني: (... كأن يبدي أنه من أهل المودة والمحبة لهم وأنه مخلص حميم، بينما يكون هو في الباطن على خلاف ذلك فيعامل بالصدق والمحبة في حضورهم ولا يكون كذلك لدى غيابهم... ولا

---

(١) ميزان الحكمة، ج١، ص ٣٣٧.

يعاشر أحداً إلّا وخالطت معاشرته تلك الصفة من التلوّن والنفاق، دون أن يخطر له شيء سوى منافعه الخاصة وأنانيته وعبادته لذاته، واضعاً تحت قدميه الصداقة والحمية والهمَّة والرجولة. . . . ولا يمتنع عن أيّ فساد وقبح ووقاحة، إن شخصاً هذا شأنه يكون بعيداً عن البشرية والإنسانية ومحشوراً مع الشياطين)[1].

وعليه فالخسارة كبرى عندما نبتلى في عشرتنا بذي الوجهين واللسانين وخصوصاً في داخل الأسرة حيث يسيطر الغموض والتساؤلات على كثير من المواقف، وستدفع الأسرة الثمن باهظاً عندما تتردى العلاقة في داخلها وتتحوَّل إلى شك في النوايا، في حين أن أغلب المشاكل الأسرية والزوجية بالخصوص لا تحلُّ إلا بالصراحة ودفن الغموض، وكم هو جميل من الزوج الذي يصارح زوجته بحوائجه وتمنياته وكذلك الزوجة، بل هذا الأسلوب الواضح يحقق رغبة الطرفين في الاستقرار والمساكنة، والسؤال يرد: أنه كيف سيجلس الزوجان على طاولة الحوار إذا ما ساد بينهما الغموض والاستفهام؟

وكم هو جميل بمن أخطأ أن يكون واضحاً ويطلب العذر والعفو والصفح.

وكم هو جميل أن يصارح المديرُ من أخطأ كي لا يكرِّر خطأه

---

(١) الأربعون حديثاً، ص ١٥٢ـ١٥٤.

بدل تجميع المعلومات خِلسةً للعقوبة. وخطورة الغامض تظهر فيما لو وقف في موقع التأثير في المجتمع أيضاً حيث لا يكون أمامه سوى سياسة الاستقواء ولو بالاحتيال إذا ما واجه القِوى المطالِبة بالمصلحة العامة، وقد ورد عن الإمام علي عليه السلام ذم الخداع والغدر بقوله:

«لا دين لخدّاع» «الغدر شيمة اللئام» «المكور شيطان»[1].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩١.

## ٧ ـ الموقف المسؤول

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾[١].

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾[٢].

إن الشخص الذي عرف حدوده في علاقاته الاجتماعية وكان عنصراً فعّالاً في محيطه يتقاسم الهموم العامَّة فيطالب بما لَهُ من حقوق ويلتزم بما عليه من مسؤوليات فهو في الأسرة المدبِّر الحكيم وفي صداقته الوفي المخلص ومع الشأن العام هو المدافع والحامي والمضحّي.

ومثل هذه النفسية كم نحن بحاجة إليها حتى على مستوى تصليح سيارة أو إدارة دكان في زقاق قرية، بالإضافة إلى موقع التأثير في الأسرة والمجتمع. إن الموقف المسؤول هو حلقة مفرغة في قيام العلاقات العامة يحتاج إلى من يكمِّله وعلى الدوام.

---

(١) سورة الصافات، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٤.

إن أغلب الخسائر على مستوى التربية ناتج عن الفشل في تحمّل المسؤولية من قبل الزوج أو الزوجة بالنيابة عند غياب الزوج للعمل أو غيره.

وكذلك الحال في فشل الإدارات سواء كانت على مستوى مؤسسة صغيرة أو مؤسسات الدولة، وهذا الفشل مردوده الواسع حتى على مستوى الأمة كلها وعلى مستوى المستقبل.

وما من نجاح إلا ووراءه مسؤول قام بجدارة تامة فيما أُلقي على عاتقه، فالزوج الناجح هو الذي لم يحج زوجته إلى غيره وكذلك أولاده، وهو الذي راعى الأولويات في عمله وسيرته فلم تكن جلسات الدردشة على حساب أسرته وزوجته، ولم تكن الأسرة بحاجزة له عن مسؤولياته العامة، وكذلك الزوجة المسؤولة هي التي عرفت كيف تقاسم عاطفتها وبجدارة بين الأولاد وزوجها وهي التي لم تقدِّم أي أمر على أولوياتها والتي على رأسها العلاقة الحميمة والعاطفية مع زوجها وهكذا بقية موارد المسؤوليات، لأنه لا يمكن أن تنجح المؤسسة عندما تترك الإدارة لأيادٍ غير مسؤولة لا تخطِّط ولا تثيب ولا تعاقب.

ويمكن أن نلخِّص الصفات التالية للشخصية المسؤولة:

١ ـ التأني والهدوء وعدم الانفعال السريع.

٢ ـ الصبر على المتاعب.

٣ ـ الحزم واللين بحسب ما يتطلبه الموقف الحكيم.

٤ ـ تحمُّل أخطاء الآخرين ما دام للصفح مكان.

٥ ـ النظر الدائم إلى عواقب الأمور.

٦ ـ لا يتزلزل نتيجة الضغوط والمصاعب.

٧ ـ يعمل ضمن تخطيط ودراسة.

٨ ـ يستشير ويأنس بالآراء الأخرى ويحترمها.

٩ ـ يقبل النقد ويستفيد من التجارب.

١٠ ـ هدفه النجاح لا العقوبة.

١١ ـ يلتزم بما وعد وعاهد.

١٢ ـ مراعاة المصلحة العامة.

١٣ ـ لا يخسر الأصدقاء.

١٤ ـ يعترف بخطئه ولا يتعصب له.

١٥ ـ ينظم أوقاته ويراعي أولوياته.

١٦ ـ لا يستعمل سلطة المسؤولية في غير موقعها.

وفي هذا المقام قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «قوام العيش حسن التقدير وملاكه حسن التدبير»[١].

ـ «إنما العاقل من وعظته التجارب»[٢].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٥٤.

(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٤.

ـ «بالتأنّي تسهل المطالب»[1].

ـ «زين المصاحبة الاحتمال»[2].

ـ «أحزم الناس من كان الصبر والنظر في العواقب شعاره ودثاره»[3].

وقال الإمام الصادق عليه السلام:

«المؤمن وقور عند الهزاهز، ثبوت عند المكاره، صبور عند البلاء، شكور في الرخاء، قانع بما رزقه الله، لا يظلم الأعداء، ولا يتحامل للأصدقاء...»[4].

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٧٨.
(٢) المصدر السابق، ص٤٢٠.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٧٦.
(٤) ميزان الحكمة، ج١، ص ٣٣٢.

## ٨ ـ ثقافة الحياة

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1].

إن لدينا ثقافة خاصة غير ثقافة الكتب والدراسة، وهي ثقافة الحياة، فيقرأ الإنسان في سيرة الناس وتجاربهم على كل المستويات ويتمعَّن في تاريخ الأمم والحضارات، ويستفيد من تجاربه الشخصية فلا يقع ثانية في أخطائه ويقوي الجانب الإيجابي فيها وهذه الحالة تحتاج إلى الانتباه والتمعُّن، ولا تحتاج إلى السنوات الأكاديمية كي يحمل شهادتها ولعله في فترة وجيزة من حياته يختصر فيها حياة آخرين، وتجربة أمَّة قد تختصر أمماً وعهوداً.

فنعم الرجل ونعمت المرأة إذا كانت حياتهما تختصر حياة رجال ونساء في سيرتهما الذاتية أو داخل الأسرة، وأوصلا بإتقانٍ تجاربهما لأولادهما، وهكذا الأستاذ الشفوق والصديق الحميم اتجاه التلميذ والصديق.

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١١١.

إن ثقافة الحياة يقرأ فيها حتى الأميّ الذي لم يوفق لدراسته وتعلُّمه.

ومن ثقافة الحياة حسن القراءة في كتاب الكون حيث سهَّل الله تعالى بلطفه هذا الجانب الذي هو من أهم سبل الهداية لكل إنسان اتجاه رب العالمين وعبادته والتعرف على صفاته، فمن ينظر في تكوين سنبلة القمح والتي تخرج خضراء في أبهى صورة جمالية تحمل السنابل وحبات القمح وفي كل حبة جيناتها الوراثية، في حين أنها تنشأ نتيجة زرعها ميتةً والتي إذا ما نزل عليها الماء دبَّت فيها الحياة بعد موتها، وبهداية إلهية تستفيد من غذاء التراب والماء والهواء وحرارة الشمس، في نظام يدهش العقول، وثمرتها متلائمة مع حاجة الإنسان والحيوان، ولا تخطئ في نموها وتنتج قمحاً لا شعيراً، فلا نملك أمام هذا المشهد سوى أن نقول:

﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1].

إن الحياة تؤهل كل إنسان بالمطلق ومهما كان اختصاصه إلى أستاذ ومعلِّم في تجربة الحياة، والمهم أن لا يتصابى الإنسان بعد كِبرَه، ويحافظ على قيمة تجربة الحياة هذه، ومن هنا كانت أخطاء الكبار الذين وعظتهم التجارب أقبح عقلائياً من أخطاء غيرهم.

بل إن تجربة الحياة يحتاجها أهل الاختصاص بعد إكمال

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

اختصاصهم، ألا ترى إلى الطبيب بعد دراسته في الطب لسنوات عديدة يحتاج إلى ثقافة خاصة كي يتعامل بها مع الناس، ناهيك عن هذه التجربة وحاجتها لأهل رسالات الله ومشاريع العدالة.

ومن أهم الوسائل في ثقافة الحياة، حسن الاستشارة ضمن شرائطها، ومنها استشارة أهل الرأي والدين وأصحاب التجربة، والحذر من استشارة الجبان والبخيل والكذاب والعدو، وللاستشارة فوائدها الكبرى في حلِّ المشاكل العالقة وخصوصاً داخل الأُسر.

إن ثقافة الحياة تقلل من الخسائر التي تنتج من ورائها الفجائع، وتخرجنا منها بأقل الأضرار.

ومن صفات الشخصية المثقفة في مدرسة الحياة ما يلي:

١ ـ احترام تجارب الآخرين.

٢ ـ القراءة الواعية لمجريات الأمور.

٣ ـ التأنّي في أخذ المواقف مع الحذر.

٤ ـ حب الاختلاط والاستشارة.

٥ ـ التدبر بعواقب الأمور والتخطيط لها.

٦ ـ الصمت والتأمُّل.

٧ ـ عدم الاغترار بمفاتن الدنيا.

٨ ـ أنه من أهل الدين والورع.

٩ ـ التقوِّي على حلِّ المشاكل.

١٠ ـ الوعظ لغيره.

وبين أيدينا إضاءات من أقوال أمير المؤمنين علي عليه السلام:

١ ـ «العاقل من اتعظ بغيره»[١].

٢ ـ «طوبى لمن أطاع ناصحاً يهديه»[٢].

٣ ـ «الفكر في العواقب يؤمن مكروه النوائب»[٣].

٤ ـ «ضروب الأمثال تضرب لأولي النهي والألباب»[٤].

٥ ـ «إذا لم تكن عالماً واعظاً فكن مستمعاً واعياً»[٥].

٦ ـ «الأيام تفيد التجارب»[٦].

٧ ـ «المجرِّب أحكم من طبيب»[٧].

٨ ـ «شاور ذوي العقول تأمن الزلل والندم»[٨].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٢٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص ٥٨.
(٤) المصدر السابق، ص ٦١.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٣.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٤٤.
(٧) المصدر السابق.
(٨) المصدر السابق، ص ٤٤٢.

# ٩ ـ تَقَبُّل الآخر

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾[1].

﴿أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

إن الاختلاف في الرؤيا لا يمنع من تقبل الآخر وفتح الحوار معه، واحترام حقوقه الإنسانية ومشاعره وأحاسيسه، ومهما بلغت درجة الاختلاف في الرأي، وحتى لو صدرت اتهامات، أو حدث سوء تفاهم، بل لا يصح قطع الحوار حتى لو تجمهرت جيوش الطرفين وقُرعت طبول الحرب، كما حصل في مدرسة الإباء والشهادة في كربلاء، فإنَّ الإمام الحسين عليه السلام وقبل وقوع الحرب والتقاتل كان يرى الموعظة واجبة عليه لهؤلاء الذين قدموا إلى قتله وسبي عياله، حيث قال عليه السلام في خطبته الأولى:

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

(٢) سورة النمل، الآية ٦٤.

«أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعتذر إليكم من مقدمي عليكم، فإن قبلتم عذري وصدّقتم قولي وأعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد. . .»[1].

إن هذا الكلام فيه من مظاهر الإنسانية ما يعجز القلم عن بيانه، فيه من شفقة القائد الملهم على قاتله، لأنه سيهلك بسببه، ويستحق غضب الله والناس أجمعين، فيه مشهد إنساني لا يتحمله إلا نبي مرسل، وفيه مشهد آخر ينعى الإنسانية ويدين بشريعة الغاب، أما المشهد الأول سيد من أسياد الإنسانية يعترف لقاتله بأنه له عليه حق إنساني وهو إرشاده وهدايته ووعظه، والمشهد الآخر قوم يأسرون قائدهم ويبيحون له كل حرمة لأنه أراد إنقاذهم من براثن جلّادهم، وآسر حرَّيتهم، فأراد افتراش قلبه لهم، ولمَّ شملهم، وأجابوه بفري أوداجه ورضّ أضلاعه بحوافر خيولهم، وشتتوا شمله، إنه العجب!.

إنّ مفهوم احترام الآخر إذا ما ترسَّخت في الأفراد، سمحت بمدِّ جسور التواصل فيما بينهم، لتفتح المجال أمام علاقات حميمة هنا وهناك، تُترجم بالصداقة والزواج والائتلاف وغير ذلك.

إن تقبُّل الآخر واحترامه هو أشبه بالخطوط الحمر التي لا

---

(١) وقعة الطف، لأبي محنف، ص ٢٠٦.

يمكن تجاوزها، لأنه يشكِّل صمَّام الأمان في العلاقات العامة ويكمن فيه سرّ النجاح، ويحتاج إلى بذل الجهد المطلوب في إبقائه على حيويته، لأنه طالما وجدنا زواج هنا وصداقة هناك، بسبب توفُّر أسباب التواصل ومنها الاحترام في البداية الا أننا بحاجة إلى إبقاء هذا التواصل وهذا الاحترام والعمل بكل الوسائل المتاحة كي يبقيا على فعاليتهما، فيتكامل الزواج ببناء الأسرة السعيدة، وتقوى الصداقة وتترشَّد، وإذا ما تعرَّض احترام الآخر إلى الفتور وظهرت عليه علائم الاضمحلال، فسرعان ما يقع الخلاف والفراق وتظهر العداوات حُبلى بسوء الظن والتهمة وعدم الثِّقة. ونتيجة تجارب جزئية حدثت ووقعت يمكن الجزم بقضيةٍ مفادها: إن جرح المشاعر بإظهار عدم الاحترام يكون السبب للنفرةِ حتى بين الوالد وولده أو بين الزوج وزوجته أو بين الأم وابنتها ومهما كانت العلاقة حميمة من جهة أخرى.

وفي المقابل إن احترام مشاعر الآخر يولد الألفة والوئام والمحبة.

ومن يبذل هذا الخُلُق الإنساني بدواعٍ شريفة جدير بأن يفرض احترامه على الآخر مهما بلغت الفوارق بينهما.

نعم ينبغي لأصحاب القلوب البريئة أن يتنبَّهوا لثعالب البشر الذين يُظهرون احترام الآخر لمآربِ شيطانية ولأهدافٍ شخصيَّة

يكون الغرض منها السيطرة بنحو ما على هؤلاء الطيبين وتسخيرهم لمصالحهم الخاصة، كما يحدث ذلك لدى تجَّار السياسة، كما ينبغي الالتفات إلى أمرٍ هو أن تقبُّل الآخر لا يعني إعطاءه الثقة التامة من غير حذر ولا يعني تزكيته بالمطلق بل المراد به فتح العلاقة معه والاستماع إليه والتعامل معه ضمن كل القواسم المشتركة، غاية الأمر أنه من خلال العلاقة العامة قد تنشأ علاقات خاصة بأن يتحوَّل إلى صديق حميم وفيّ، يطَّلع على الأسرار وهو أهل لكتمانها كما قال علي عليه السلام: «الصديق نسيب الروح»[1].

إن الاحترام للآخر شيء ووضع الإنسان المناسب في المكان المناسب شيء آخر، والاحترام للإنسان، ما لا ينافي الحذر منه في أشياء، والاحتياط في التعامل معه. واحترام الآخر لا يعني تجاوز هذا الآخر لحدوده، وتدخُّله فيما لا يعنيه.

هذا ومن آثار تقبُّل الآخر:

١ ـ شيوع الاحترام المتبادل.

٢ ـ الإبداع في العطاء وإظهار المهارة.

٣ ـ تقبُّل تبرير الأعذار مع الحمل على الأحسن.

٤ ـ تقبُّل مهارة الآخر والاعتراف بكفاءته.

---

(١) قصار الجمل، ج١، ص ٣٧٧.

٥ ـ تقبُّل نقد الآخر والرأي المضاد.

٦ ـ الاعتماد على الآخر في إنجاز المعاملات.

٧ ـ عدم وصول المشاكل إلى القطيعة الممقوتة.

ومن أقوال أمير الحكمة علي عليه السلام ما يضيء على هذا الموضوع ما يلي:

١ ـ «إن أحسن الناس عيشاً من حسُن عيش الناس في عيشه»[١].

٢ ـ «لا تستصغرنّ الرأي الخطير إذا أتاك من الرجل الحقير»[٢].

٣ ـ «من شاور الرجال شاركها في عقولها»[٣].

٤ ـ «من سوء الاختيار مغالبة الأكفّاء ومعاداة الرجال»[٤].

٥ ـ «من أحسن المصاحبة كثر أصحابه»[٥].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٤٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٤١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٤٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٣٠.

# ١٠ ـ عدم تجاوز الحدود

قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾[١].

وقال الإمام علي عليه السلام: «وكفى بالمرء جهلاً ألا يعرف حدَّه»[٢].

إن من مشاكلنا العالقة في العلاقات مع الآخر ابتداءً بالأسرة وانتهاءً بالدولة هي الموقف الحشري وأخذ دور الغير، والتدخل فيما لا يعنيه.

إن هذه الفضولية من المواقف تترك وراءها أعباءً وتراكمات سيئة.

فهل من المناسب التدخل بشؤون الزوجين؟!

وهل من المناسب أن تأخذ الزوجة دور زوجها في سيادة الأسرة من دون مبرِّر ويبقى هو وكأنه غير موجود؟!

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٩.

(٢) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ١٠٤٢.

هل من المناسب أن يتدخل غير الاختصاصي بالطب، في الشؤون الطبية؟!

هل من المناسب أن يجلس غير الإداري في مناصب الإدارة؟!

هل من المناسب أن يأخذ العامي وغير المطلع على شؤون الفقه دور المفتي بين الناس؟!

إن نظم أمر الحياة يأبى كل هذه المواقف الفضولية، والتي تدع ساحة المجتمع أشبه بغرفة أطفال، والتي قد تتحوَّل في بعض مشاهدها إلى صراع الثيران بين الكبار وفي مشهد آخر كتصارع الدجاج على التقام حبوب القمح. والصحيح هو أن يعرف المرء قدره كما قال الإمام علي عليه السلام: «هلك امرؤ لم يعرف قدره»[1]، ومن ثم يعرف حدود الآخرين، ليلتزم بحدوده ولا يتعداها إلى غيرها حتى لا تختلط الأمور وتسود الفوضى ناهيك عن الضرر الحاصل الذي قد يكون كبيراً إذا ما كان يخصُّ الشأن العام كما في أمور المؤسسات والإدارات على أنواعها، ولا نستقلُّ حساسية دور الأسرة التي ينبغي أن ننظر إليها وأنها الصورة المصغّرة عن حياة المجتمع بكل أبعاده.

وكم من اللائق أن يقول غير الكفؤ في أمر ما، إنني لا أقدر

---

(١) المصدر السابق.

على الجواب أو على العمل كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا يستحيين أحدٌ إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم»[1].

وأفضل منه أن يقول طبيب الصحة مثلاً لحالة مرضية لديه اذهبوا إلى الأخصائي الفلاني فإنه يفيدكم أكثر منيّ كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا أعزّ من قانع»[2].

وكم هو جميل في الزوجة الصالحة التي أخذت دور زوجها التوجيهي نتيجة غيابه، أن تذكِّر أولادها به وتحسُّسهم بوجوده وموقعه بينهم، وبكلِّ أمانة، بدلَ أن تنسيَهم إيّاه. وكم هو النجاح لدى الأب الذي لا تسيطر عليه عصبيَّته وسلطته، والذي يمارس دوره التوجيهي والإداري، وفي نفس الوقت، يحسب لدور الأم العاطفي الحساب، ويضعه ضمن برنامجه التربوي، فيستفيد منه بدقة تامة، حتى لا تكون السلطة هي سيدة الموقف في التعاطي مع الأولاد.

ومن هنا ينتظم الأمر ويأخذ كل فرد دوره، نتجنب الكثير من المشاكل، وتكون السلامة والنجاح هما الأبقى كما قال الإمام علي عليه السلام: «من اقتصر على قدره كان أبقى له»[3].

ومن آثار عدم تجاوز الحدود:

١ ـ انتظام الأمور.

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٨.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٢.
(٣) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ١٠٤٢.

٢ ـ الإقلال من المشاكل.

٣ ـ تخفيف حالة الحسد والتحاسد والعدوانية.

٤ ـ فسخ المجال أمام أهل الكفاءة.

٥ ـ شيوع القيم والفضيلة.

٦ ـ فتح المجال لنجاح الأسرة والمؤسسات.

٧ ـ تقوية الإيمان بقضاء الله وقدره.

٨ ـ فسح المجال لتهذيب الذات.

٩ ـ بقاء نافذة الأمل في المستقبل الواعد.

## ١١ ـ المنافسة في الخيرات

قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾[١].

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾[٢].

إن حماس التنافس في القيم الخلقية والأعمال الصالحة هو من علامات الخير والبركة والصحة والسلامة في المجتمع. وله مردوده الإيجابي على تطوّر الحالة الحضارية الدنيوية إلا أن مردوده الإيجابي أكبر على صعيد بناء الفرد وصلاح المجتمع الإنساني الهادف إلى بناء مشروع العدالة والمؤهل لحياة الخلود في الآخرة.

إن التنافس على تملّك القيم الأخلاقية، كالكرم ومساعدة الفقراء والدفاع عن المظلوم والمستضعفين والشجاعة والحنان والرأفة والعفَّة وغيرها، هو المسار الطبيعي للمجتمعات، وهو

---

(١) سورة المطففين، الآية: ٢٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.

أبدع صور الإنسانية في لوحة خلق الإنسان، فما أروع التنافس على أجمل علاقات الصداقة في الوفاء والصِّدْق والكرم والوقوف في ساعات الشدَّة.

وما أجمل التنافس على درجة الأوّل داخل صفوف المدرسة، وما ألطف التنافس على بناء الأسرة السعيدة التي ملؤها الهدوء والابتسامة، والطافحة بالخيرات.

وليكن هذا المضمار في السباق، على حدٍّ مساوٍ على الأقل للتنافس التجاري الملموس داخل الأسواق والمؤسسات.

وإذا وصلنا في مجتمعنا إلى ثقافة السباق على التصالح فيما بيننا نتيجة حدوث الخلافات والتشاجرات نكون في ألف عافية. وإذا أصبح المقياس للأفضلية هو السباق على العمل الصالح في طاعة الله نكون من أهل الجنَّة.

إن هذا التنافس البريء هو صورة ملائكية تتجسد بين البشر على الأرض، ولا تقل إنها صورة خيالية، لأنها موجودة في الصراع على حطام الدنيا فلماذا لا تكون موجودة في دائرة الأعمال الصالحة والأخلاق الرضيّة؟!

وإذا لم يتعوَّد عليها مجتمعنا، فلتكن ثقافةً يخطَّطُ لها، كي تُجعل على سكّة التطبيق، كما عليه كثير من الثقافات المبتدئة، التي تشرح صدرها تفاؤلاً لمستقبل إنسانيّ واعد.

وقد أكدت الأدعية على هذا التوجيه التربوي الثقافي كما في دعاء كميل للإمام علي عليه السلام:

(. . . يا رب يا رب يا رب، قوِّ على خدمتك جوارحي واشدد على العزيمة جوانحي، وهب لي الجدّ في خشيتك والدوام في الاتصال بخدمتك، حتى أسرح إليك في ميادين السابقين، وأسرع إليك في المبادرين، واشتاق إلى قربك في المشتاقين وأدنو منك دنو المخلصين، وأخافك مخافة الموقنين واجتمع إلى جوارك مع المؤمنين. .)[1].

ومن أروع آيات المنافسة في ثقافة الإسلام ومنهجه التربوي، أن يسبق صاحب الفضائل وبجرأة تامة صاحب السيئات، ويقوى عليه، في أروع معادلة في الثقافة المضادة، كما قال الإمام علي عليه السلام:

«ولا يكونن أخوك أقوى على قطيعتك منك على صلته ولا تكونن على الإساءة أقوى منك على الإحسان»[2].

هذا بالإضافة إلى سباق السيطرة على النفس الأمَّارة بالسوء، بين قوى الفضيلة داخل النفس وقوى الشرِّ فيها، في عملية الجهاد الأكبر لهذه النفس.

---

(١) مفاتيح الجنان، ص ١٠٠.

(٢) نهج البلاغة، ك٣، ص ٥٧٣.

ومن آثار هذه المنافسة الشريفة:

١ ـ الإبداع في العطاء وإظهار القدرات.

٢ ـ ظهور التكافل الاجتماعي.

٣ ـ ظهور القيم الإنسانية.

٤ ـ شيوع الخير وفتح أبواب المصالحات والإقلال من المشاكل.

٥ ـ الأمان واستقرار المجتمع.

٦ ـ فتح المجال بشكل أكبر وأوسع لمجاهدة النفس وتزكيتها.

٧ ـ الحصول على رضا الله سبحانه والجنة.

٨ ـ ظهور حالة الجرأة في الإصلاح، خصوصاً في المسلكيات، كما عليه الجرأة في التنافس داخل السوق التجاري.

## ١٢ ـ المرونة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[١].

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾[٢].

إن ملخص الآيتين يتمحور حول صفة رسول الله ﷺ مع أصحابه، وهي الرحمة والرأفة، وهي السبب في اجتماع الناس حوله، ولو كان فظاً قاسياً وغليظ القلب من دون رحمة، لتفرّق عنه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

الناس وانفضُّوا، كما أن صفة المؤمنين فيما بينهم هي الرحَمة والرقة[1].

إنّ صفة الليِّن والشفقة والرِّقة هي صفة النفس المرنة والتي تكون قريبة إلى الآخر، ولا يقف أي شيء حَجَرَ عثرة أمام تعاطفها وإحسانها ومغفرتها.

والمرونة واللين هي عمدة العلاقات بين أفراد المجتمع، وهي العنصر الحيوي لتفاعل الطبائع المختلفة والأذواق المتعددة، وهي الضمانة للتآلف والقرب والإلفة.

والإنسان الاجتماعي هو كالغصن الأخضر الطري الذي لا تكسره العواصف مهما بلغت شدتها لأنه يتعاطف معها كيفما مالت. والقلب المرِن، هو الذي يملك الروح الرياضية، التي لا تجد طعم الأنانية، كوردة تتمايل على ألحان النسيم الهادئ، وتضفي على الحقل جمالاً فوق جماله.

واللّيِن لا يعني النفاق لأنه هو مجرد بلسم اجتماعي مهدئ لا أكثر ولأنه ينطلق من نفس متعاطفة مع الآخر، والإنسان اللَّيِّن لا يظهر إلا بصورة واحدة ووجه واحد ولسان واحد بخلافه في النفاق الذي يمقته الله سبحانه والناس أجمعين وهدف المتعاطف مع غيره إنساني محض كمسحة يد الحنان على رأس يتيم، وكلمة رأفةٍ في

---

(١) راجع تفسير الميزان بتصرف، ج٤، ص ٥٦ مع سورة الفتح.

أذن فاقدِ حبيب، وكلمة شوق يخاطب بها قلب العشيق، إن اللين هو واحد من مفردات لحن الحياة بينما النفاق نار تشوي وتحرق كل ما نبت في بستان الإنسانية.

وقد قال الرسول ﷺ:

«ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الهيِّن القريب الليِّن السهل»[1].

ومن آثار النفس اللَّينة الرحيمة المرنة:

١ ـ الليِّن إذا غضب يتراجع ولا يغلبه العنف.

٢ ـ الليِّن يسارع إلى المسامحة بعد سوء التفاهم ولا يقيم على ظلمه.

٣ ـ الليِّن أصحابه كثر ويدوم أحباؤه.

٤ ـ الليِّن نسبة نجاحه في أسرته ومجتمعه عالية.

٥ ـ الليِّن تقلُّ مشاكله ويسيطر عليها بسهولة.

٦ ـ الليِّن يغضُّ النظر عن أمورٍ لا يحتاج إلى الوقوف عندها، ويلين أمام الغضوب الهائج، ولعل جوابه صمته أحياناً.

وبين أيدينا كلمات من مولى الموحِّدين الإمام علي عليه السلام:

---

(١) البحار، ج٧٥، ص ٥١.

١ ـ «لا يجتمع العنف والرفق»[١].

٢ ـ «الرفق يؤدي إلى السلم»[٢].

٣ ـ «بالرفق تدوم الصحبة»[٣].

٤ ـ «لِن لمن غالظك فإنه يوشك أن يلين لك»[٤].

٥ ـ «الرفق في المطالب يسهِّل الأسباب»[٥].

٦ ـ «بالرفق تهون الصعاب»[٦].

٧ ـ «من لم يُحسن العفو أساء بالانتقام»[٧].

٨ ـ «أعطِ الناس من عفوك وصفحك مثل ما تحب أن يعطيَك الله تعالى»[٨].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٤٤.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق.
(٧) المصدر السابق، ص ٢٤٥.
(٨) المصدر السابق.

## ١٣ ـ الحب لله ولمحمد وآل محمد

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[(١)].

من طبع الإنسان أن يرغب ويحب ويتعلق قلبه بأشياء، سواء كان الحب لمأكل أو مشرب أو لمشهد بيئي جميل، أو كان لقيم إنسانية، كحب الكمال والجمال في الكرم والشجاعة والعفة وغيرها.

وكلما كان الأمر ذا قيمة أعلى كان حبَّه أسمى وأعظم، وغاية الحب هو حب الله كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «وهل الدين إلا الحب؟ إن الله يقول ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾»[(٢)]

إن الحب هو حب الله وعشقه وكيف لا نعشقه ونتفانى على أعتاب محبته وهو الذي جبلنا بيد رحمته وهو الذي أطعمنا وسقانا

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

(٢) قصار الجمل، ج١، ص ١٢٩.

وإذا مرضنا فهو يشفينا وهو الذي أعطانا كل ما نملكه من عقل وإدراك ووسائل القدرة، وكيف لا نحسُّ بالخجل بين يديه وبالتقصير على عدم بلوغ تمام شكره ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٨﴾[1].

وفي المقام كلام حول حب الله للعلامة الطباطبائي. في شرح الآية ﴿إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ حيث قال: (الحب بحسب الحقيقة، الوسيلة الوحيدة لارتباط كل طالب بمطلوبه، وكل مريد بمريده، إنما يُجذب المحبُّ إلى محبوبه ليجده، ويتم بالمحبوب ما للمحب من النقص. ولا بشرى للمحب أعظم من أن يبشّر أن محبوبه يحبه، وعند ذلك يتلاقى حبان... فالإنسان إنما يحب الغذاء، وينجذب ليجده ويتم به ما يجده في نفسه من النقص الذي آيته الجوع... ولو تأمّلت موارد التعلق والحب، أو قرأت قَصص العشّاق والمتولهين على اختلافهم، لم تشك في صدق ما ذكرناه، فالعبد المخلص لله بالحب لا بغية له إلا أن يحبه الله سبحانه كما أنه يحب الله ويكون الله له كما يكون لله عز اسمه... فإن حب الشيء يقتضي حبّ جميع ما يتعلق به، ويوجب الخضوع والتسليم لكل ما هو في جانبه، والله سبحانه هو الله الواحد الأحد، الذي يعتمد عليه كل شيء في جميع شؤون وجوده، ويبتغي إليه الوسيلة،

---

(١) سورة النحل، الآية: ١٨.

ويصير إليه كل ما دقّ وجلّ، فينبغي أن يكون حبُّه والإخلاص له بالتدين له بدين التوحيد وطريق الإسلام، على قدر ما يطيقه إدراك الإنسان وشعوره)[1].

وقد نقلنا هذا الكلام على طوله لأهميته، ثم ننقل الكلام أيضاً إلى عشق الله تعالى عن رجل تفانى في عشقه وروَّض نفسه على محبته وهو الإمام الخميني في قوله:

(. . .إننا نحب الجمال والجلال المطلق، إننا نطلب القدرة المطلقة والعلم المطلق. . . فهل في جميع سلسلة الكائنات أو في علم التصور والخيال. . . كائن مطلق وجمال مطلق سوى الله تقدست أسماؤه. . . يا عشّاق الحبيب الخالي من العيوب والدائم الأزلي عودوا إلى كتاب الفطرة، وتصفحوا كتاب ذاتكم لتروا أنّ قَلَمَ قدرة الفطرة الإلهية قد كتب ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[2][3].

وقد ركّزت الأدعية في آدابها التربوية على توجه النفس نحو معشوقها لأنه هو بيت قصيدها ولأنها خُلقت لأجل معرفته، وبمعرفة الله وحبِّه يتحقق الكمال لهذه النفس الضعيفة حتى تتأهل لحياة الأبد في النعيم الإلهي في الجنة. وفي المقام يقول الإمام

---

(١) تفسير الميزان، ج٣، ص ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٧٩.

(٣) الأربعون حديثاً ـ بتصرف ـ ص ١٧٨ ـ ١٧٩.

السجاد زين العابدين عليه السلام في أدعيته على أعتاب الرحمة الإلهية:

(يا منىٰ قلوب المشتاقين، وغاية آمال العارفين أسألك حبَّك وحبَّ من يحبك، وحبَّ كل عمل يوصلني إلى قربك، وأن تجعلك أحبَّ إليّ مما سواك وأن تجعل حبِّي إياك قائداً إلى رضوانك وشوقي إليك ذائداً عن عصيانك، وامنن بالنظر عليّ، وانظر بعين الودِّ والعطف إليّ، ولا تصرف عنيِّ وجهك...)[1].

ثم يأتي بعد حبِّ الله تعالى حبُّ روّاد الإنسانية والفضيلة الذين سجَّل التاريخ أسماءهم بأحرف ذهبية على جبينه ليكونوا الأمثولة لكل الأجيال وقادة وهداة.

وهل يسفر فجر التاريخ عمن هو أفضل من محمد وآل محمد، وقد أكد القرآن، كأعظم كتاب وبلا شك، على مقامهم المحمود، وهل يوجد أدلّ على مقامهم من جعل أجر رسالة العدالة والإنسانية وأجر مشروع الله لهداية البشر هو حبُّهم ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[2] فماذا عن علي ولا ينبئُك عنه مثل نهج البلاغة وما حواه؟ ماذا عن الحسن والحسين وقد أخبر الرسول صلى الله عليه وآله أنهما سيدا شباب أهل الجنة؟ وماذا عن فاطمة وقد اختصرت النساء فيها بنص آية المباهلة.

وماذا عن بقية أهل العصمة الأئمة التسعة من ذرية الحسين

---

(١) الصحيفة السجادية، مناجاة العاشقين، رقم ٩، ص ٢٤٩.
(٢) سورة الشورى، الآية: ٢٣.

وهم مشمولون لآية التطهير من كل رجس وقبيح والذي يعني العصمة. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] وهل مثل الحسين رائد للإيثار والتضحية والشهادة من أجل الإنسانية وقيمها؟

إن حبَّ الحسين عليه السلام صحوةٌ في ضمير كل حر يترجمها المصاب دمعةً في العيون وعشقاً في القلوب إلى حدٍّ يتمنى العاشق لو يتراجع التاريخ كي يكون درعاً وفيّاً يقي هذا السيد العظيم الذي حيَّر ملائكةَ السماء صبرُهُ وتجلُّدُه.

وماذا عن الإمام المهدي (عج) المدَّخر لإقامة العدل في الأرض ويخلِّص الإنسان من ظلم الإنسان وعتوه؟.

وفي عشق آل محمد يقول الرسول صلى الله عليه وآله:

(فلو أنّ رجلاً صَفَنَ ـ صف قدميه ـ بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار)[2] وقوله صلى الله عليه وآله: (ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات تائباً، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبِّ آل محمد بشَّره مَلَك الموت بالجنة ألا ومن مات على حب آل محمد يزفَّ إلى الجنة كما تزفُّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبِّ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.
(٢) الوقت هو الحياة، ص ٥٦ ـ ٥٧.

آل محمد فُتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السُّنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه: آيس من رحمة الله)[1].

ومن أحبَّ محمداً وآل محمد لا بدّ أن يحبَّ ما أتى به محمد وآل محمد الذين تحملوا كل المآسي والشدائد حتى الشهادة في سبيل الله ومن أجل الإسلام ومشروع العدالة وخدمة الإنسان. ومحال أن يُفصل في مفهوم الحب والعشق، بين المعشوق وإراداته، كما قال تعالى مخاطباً رسول ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ والحلُّ الوحيد أمام من ينتمي إلى رسالة الوحي، ومن أجل أن يبقى ضمن مشروع العدالة وليحقق السعادتين في الدنيا والآخرة، هو أن يطبِّق ما أراد الله سبحانه وأحبه، وما أحبه الأولياء عليهم السلام وأرادوه.

قال الإمام علي عليه السلام:

(أشد الناس عمى من عمي عن حبنا وفضلنا، وناصبنا العداوة، بلا ذنب سبق منا إليه، إلا أنا دعوناه إلى الحقّ ودعاه سوانا إلى الفتنة والدنيا، فآثروها ونصبوا العداوة لنا)[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ١١٧.

وكلنا شوق وأمل، في تحقيق مشروع المدينة الفاضلة في كل العالم، ونعمل قدر المستطاع تمهيداً لذلك، والذي نعتقد به من غير تردُّد، أنه سيكون على يد صاحب العصر والزمان وهو الوعد غير المكذوب كما قال رسول الله ﷺ:

(إن علياً إمام أمتي من بعدي، ومن وُلْده القائم المنتظر الذي إذا ظهر يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً)[1].

---

(١) دروس في العقيدة الإسلامية، ج٢، ص ٣٥١.

# ١٤ ـ الترابية وخفض الجناح

قال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾[١] التواضع سمة إنسانية تنادى بها فطرة الإنسان تدعوه إلى احترام الناس من دون تمييز بين الغني والفقير فيحترم الإنسان لإنسانيته لا يجتذبه جاه أو مقام، فلا يترفع على غيره ولا يحسُّ بالتفوق والتميُّز عليه[٢]، وهذه من صفة الأنبياء والأولياء عليهم السلام وكل ذوي الطبع السليم غير المريض، وقد ورد في الخبر «أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأكل على الأرض ويقول: إنما آكل كما يأكل العبيد»[٣].

و«أبو تراب» كان من أسماء الإمام علي سيد المرسلين عليه السلام ناداه به الرسول صلى الله عليه وآله كما في إحدى الروايتين، عندما رآه نائماً على تراب المسجد، وقد سقط رداؤه وعلق التراب على ظهره[٤].

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.
(٢) راجع الأربعون حديثاً، ص ٨٥ ـ ١٠٤.
(٣) الأخلاق للسيد شبَّر، ص ٢٠٦.
(٤) سيرة الأئمة الاثني عشر، ج١، ص ١٧٨.

فالشخصية الترابية المتواضعة هي التي تألف الآخرين ويألفوها ويهنأ من يعايشها، تقبل الاعتذار ولا تصرُّ على خطئها، وبخفض جناحها تشيع المحبة، ويُفتح المجال أمام طواعية الآخر وتفاعله. ومن يسبر التاريخ يرى العجب، في تواضع روّاد الإنسانية، كما الحال فيمن تتلمذ في مدرستهم من العلماء والصلحاء، ولذا امتازت الديانات الإلهية، وعلى لسان الأنبياء الكرام ﷺ، بالتركيز على هذه الخصلة الإنسانية في برنامجها التأديبي والتربوي.

وقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال لأصحابه: «ما لي لا أرى عليكم حلاوة العبادة؟ قالوا: وما حلاوة العبادة؟ قال: التواضع»[1].

«وعنه ﷺ: إذا رأيتم المتواضعين من أمتي فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبروا عليهم فإن ذلك لهم مذلّة وصغار»[2].

إن التواضع كحالة سليمة لا ينافي صدور التكبُّر كحالة علاجية لبعض المرضى به، ولكن بشرط النية المخلصة، كما يتعاطى الطبيب مع مريضه، وحذار أن يكون ذلك بداعي التشفي والانتقام، فعندئذٍ يخرج عن كونه حالة علاجية إلى كونه إظهاراً لمرض نفسي مقابل مرضٍ نفسي آخر.

---

(١) الأخلاق للسيد شبَّر، ص ٢٠٣.
(٢) المصدر السابق.

وبما أن مجتمعنا يحتوي على حالات من التجمعات الساخرة، فينبغي للمتواضع أن يكون على حذر تام من أولئك، حيث حذرنا الرسول ﷺ منهم بقوله: «طوبى لمن تواضع في غير منقصة وأذلّ نفسه في غير مسكنة»[1]. ويمكن ذكر بعض آثار التواضع والترابية:

١ ـ به تشيع المحبة بين الناس وخصوصاً في القائد المتواضع.

٢ ـ به يُتواسى بين الناس وبالأخص الفقراء، وتكافح الطبقية.

٣ ـ يسمح بقيام المؤسسات الإنسانية التي تتكفل اليتامى والفقراء وغيرهم.

٤ ـ النفس المتواضعة تكون أقرب لطاعة الله سبحانه وأرضى.

٥ ـ بالتواضع يحسُّ الآخر بالأمن والاطمئنان.

٦ ـ بالتواضع تنتظم الأمور وتُحقق الأهداف.

٧ ـ بالتواضع يُفسح المجال للتعلم والتعليم والإفادة والاستفادة، وتصل الحقوق، وتُنشر الفضيلة.

٨ ـ بالتواضع نعالج الحالة المرضية في نفوسنا.

---

(١) قصار الجمل، ج٢، ص ٣١٧.

وبين أيدينا بعض الإضاءات عن الإمام علي عليه السلام:

١ ـ «وتواضع لله الذي رفعك»[1].

٢ ـ «بخفض الجناح تنتظم الأمور»[2].

٣ ـ «ضادوا الكبر بالتواضع»[3].

٤ ـ «أجلُّ الناس من وضع نفسه»[4].

٥ ـ «من تواضع عظَّمه الله ورفعه»[5].

٦ ـ «التواضع ينشر الفضيلة»[6].

٧ ـ «ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تِيه (التكبر) الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله»[7].

٨ ـ «بالتواضع تتم النعمة»[8].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٤٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٢٤٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٢٤٩.
(٦) المصدر السابق، ص ٢٤٨.
(٧) قصار الجمل، ج٢، ص ٣١٦.
(٨) المصدر السابق.

## ١٥ ـ الشجاعة والممانعة

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[١].

قد عرِّفت الشجاعة بأنها «هيئة حاصلة للقوة الغضبية بين التهور والجبن، بها يُقدَمُ على أمور ينبغي أن يُقْدَمَ عليها كالقتال. . .»[٢].

فالشجاعة هي حالة الاعتدال في القوة الغضبية الفطرية التي رسمتها يد القدرة الإلهية الحكيمة وهي بهذا المستوى ممدوحة وترقى بالإنسان إلى أعلى درجات الكمال، إذْ بها يقف الإنسان ممانعاً بوجه أعداء الوطن والإنسانية. وبها يتحمَّل مسؤولياته أمام الأسرة والمؤسسة. ويكون جديراً بالوفاء بالعهود والالتزامات، وبواسطتها يؤثر بكل موجود لديه من أجل القيم والمصالح العامة، ويكون له الوقفات الشريفة من أجل الدفاع عن الكرامات والقضايا الحقَّة.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٣.

(٢) كتاب التعريفات، ص ٥٥.

هذه كلها ببركة الشجاعة والجرأة المعتدلة، أما الجرأة في غير محلها فهي من التهور والذي لا بدَّ من الانصراف عنها، فإنه من الخطأ التقوي على الضعيف لضعفه، وعلى الأولاد الصغار بحجة التربية، وعلى الزوجة بحجة الهيمنة، وعلى الفقير لضعف موقعه، وعلى التلميذ في مقاعد الدراسة. ومن هنا يتكلم الإمام الخميني عن الشجاعة عند مقارنتها مع الغضب بقوله:

«مبدأ الشجاعة هو قوة النفس والطمأنينة والاعتدال والإيمان وقلة المبالاة بزخارف الدنيا وتقلباتها، والشجاع أعماله لا تكون إلا عن روية ووفق ميزان العقل وطمأنينة النفس، يغضب في محلِّه ويحكم في محلِّه، لا تهزُّه التوافه ولا تغضبه، وإذا غضب غضب بمقدار، وينتقم بعقل... يزن أعماله بميزان العقل والشرع والعدل والإنصاف ويخطو خطوات لا يندم عليها بعد ذلك»[1].

وهذه القوة الغضبية المعتدلة إذا ما ضعُفت تحوّلت إلى خوف، وضعف، وتراخٍ، وتكاسل، وطمع، وقلة صبر، وعدم ثبات في المواقف الحسّاسة، وخمود وخنوع وتحمُّل للظلم، وقبول للرذائل، والاستسلام للمصائب، وانعدام للغيرة، وخوْر للعزيمة.

إن هذه الشجاعة وقوة الممانعة ممدوحة لدى كل العقلاء وفي شرع الله تعالى، وهي ممدوحة حتى من الطفل فضلاً عن المرأة

---

(١) الأربعون حديثاً ـ بتصرف ـ ص ١٣٩، وراجع ص ١٣٢.

والرجل، إن الجرأة تُمتدح في الطفل الذي تعوَّد جرأة الحديث مع الضيوف، وتُمتدح في جرأة المخطئ على الاعتذار، وتُمتدح في جرأة الزوجين على الصراحة في كل قضاياهما، وتُمتدح في الذي صمَّم بشجاعة على ترك العادة السيئة، وتُمتدح في الذي لم يسقط أمام الإغراء المالي وغيره كي لا يخون الأمانة، وتُمتدح فيمن سافر بعياله وتحمَّل المشاق هروباً من الفساد، ناهيك عن وقفة الصمود للمقاتل بوجه عدوٍ غازٍ، أو وقفة حق في الشارع بوجه السلطة احتجاجاً على فسادٍ إداري، وهكذا.

ثم إن الشجاعة صفة مكتسبة لها أسبابها:

١ ـ البرنامج التربوي الهادف في البيت أو المدرسة.

٢ ـ ركوب الأهوال وتحمُّل الصعاب.

٣ ـ الارتباط العقائدي بأهل الشجاعة كمدرسة كربلاء الكبرى.

٤ ـ الإيمان بالله وبوعده الصادق في إكرام أهل الجهاد والشهادة.

ومن آثار الشخصية الشجاعة الممانعة الجريئة:

١ ـ مجاهدة العدو الخارجي.

٢ ـ بها يدافع عن الذات والمال والعرض والوطن.

٣ ـ بها يقوم الفرد بإصلاح ذاته في عملية الجهاد الأكبر ويصلح غيره.

٤ ـ بها يبادر وبشجاعة إلى المصالحة مع أخٍ له نتيجة سوء تفاهم.

٥ ـ بها يبادر إلى ترك عادة قبيحة ورذيلة خُلُقية.

٦ ـ بها يصل الإنسان إلى الذروة في اللياقات البدنية الرياضية.

٧ ـ بها يقام نظام الوطن والمؤسسات والبرامج التربوية.

٨ ـ بها يُسيطر على الخلافات بقهر النفس الأمارة بالسوء.

٩ ـ بها يتحقق الإبداع والتطور وطَرْق باب المجهول كما حدث في الفتوحات العلمية.

١٠ ـ الشجاعة من أفضل الزينة للإنسان وأنها عزّ للفرد والجماعة.

١١ ـ بالجرأة والشجاعة يدافع عن المظلوم ويُغاث الملهوف.

١٢ ـ بالشجاعة يؤخذ القرار في مواجهة الحالات المتردية الاجتماعية نتيجة سوء الإدارة.

وقد يتساءل متسائل: أين هو محلٌّ حالة المسالمة والوداعة في العلاقات الاجتماعية وكيف تتلاءم مع قوة الممانعة وقوة الشجاعة ووسائل الدفاع؟.

والجواب: هو في المطلب الآتي.

ونبقى مع كلمات للإمام علي عليه السلام حول آثار الشجاعة:

١ ـ هموم الرجل على قدر همته وغيرته على قدر حميته[١].

٢ ـ الشجاعة عزّ الحاضر[٢].

٣ ـ ثمرة الشجاعة الغيرة[٣].

٤ ـ من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف[٤].

٥ ـ إذا رأيت مظلوماً فأعنه على الظالم[٥].

٦ ـ ثابروا على صلاح المؤمنين[٦].

٧ ـ خير الناس من نفع الناس[٧].

٨ ـ الجنود حصون الرعية[٨].

٩ ـ ثواب الجهاد أعظم الثواب[٩].

١٠ ـ الأمر بالمعروف أفضل أعمال الخلق[١٠].

١١ ـ من اتخذ الحق لجاماً اتخذه الناس إماماً[١١].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٥٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٥٩.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٥٩.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٥٠.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٥٠.
(٦) المصدر السابق، ص ٤٥٠.
(٧) المصدر السابق، ص ٤٥٠.
(٨) المصدر السابق، ص ٣٣٣.
(٩) المصدر السابق، ص ٣٣٣.
(١٠) المصدر السابق، ص ٣٣١.
(١١) المصدر السابق، ص ٣٣١.

# ١٦ ـ إفشاء السلام

قال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١].

قال العلامة الطباطبائي في تفسيرها: «وإن مالوا إلى الصلح والمسالمة فمِل إليها، وتوكَّل في ذلك على الله، ولا تخف من أن يضطهدك أسباب خفية عنك، عن غفلة منك وعدم تهيؤ لها، فإن الله هو السميع العليم لا يغفله سبب ولا يعجزه مكر، بل ينصرك ويكفيك»[٢].

إن المسالمة هي صفة العلاقة الوديعة مع الآخر، والمصالحة تعني إنهاء الوضع القتالي وتبديله بوضع تعايشي كما قال النبي ﷺ: «خيركم من أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام»[٣].

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٦١.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج٩، ص ١١٧.

(٣) قصار الجمل، ج١، ص ٣٢١

وقال الصادق عليه السلام: «المسلم من سلم الناس من يده ولسانه والمؤمن من ائتمنه الناس على أموالهم وأنفسهم»[1]. فالشخصية المسالمة هي التي تساهم في إفشاء السلام فلا يصدر منها أذية أو ضرر اتجاه الآخر، فهي التي يسلم الناس من لسانها ويدها ونواياها الشرِّيرة.

وبأدنى تأمل في تعاليم السماء نرى أنها جاءت لتؤكِّد على القيم الأخلاقية كأساس في قيام المدينة الفاضلة كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «حسن الخُلُق نصف الدين»[2]. وكلما كمل عقل الإنسان أرشده إلى مكارم الأخلاق، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن أكمل الناس عقلاً أحسنهم خلقاً»[3]. وإفشاء السلام هو من هذه المكارم الطاهرة التي هي سِمة من انتمى إلى مدرسة السماء ليعلن شعاره في التحية المؤدَّبة «السلام عليكم». كما عن الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله يحب إفشاء السلام»[4].

والسؤال كيف يتم إفشاء السلام؟

والجواب في عدة أمور:

**١ ـ في احترام الإنسان الآخر.**

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٢٠.
(٢) قصار الجمل، ج١، ص ١٧٩.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٢٢.

٢ ـ في الدفاع عن المظلوم وردع الظالم.

٣ ـ في عدم إيذاء أي إنسان في ماله أو في عرضه أو في دمه.

٤ ـ رفع شعاء المراحمة بين الناس.

٥ ـ في حماية المجتمع المسالم ومقاومة من يهدِّد سلامه.

٦ ـ في نشر الفضيلة ومكارم الأخلاق في المجتمع.

٧ ـ في بناء المؤسسات التربوية والدينية والخدماتية.

٨ ـ تأمين وظائف للعاطلين عن العمل ومحاربة البطالة التي هي من أسباب شيوع الفساد والحالات العدوانية.

٩ ـ تنشيط وسائل الإعلام في ذلك.

ويبقى السؤال: ما هو التوفيق بين الشجاعة والممانعة من جهة وبين المسالمة والموادعة من جهة أخرى؟

والجواب:

إنه لا يوجد تضاد بين المفهومين بل هما يتكاملان في سعادة الإنسان، فإن الشجاعة هي باستنهاض الهمم للقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقنا، ومنها مواجهة الفساد الذي يهدد السلم والأمن الاجتماعيين سواء من الداخل أو الخارج. والممانعة هي قوة الدفاع عن القيم والحقوق بوجه أي حركة عدوانية، ويمكن القول إنّ الشجاعة والممانعة هي لحماية العيش المسالم الوديع.

والمسالمة والوداعة داخل المجتمع الأهلي وحتى بين الدول تحتاج إلى قوة الدفاع والممانعة، حتى تستقر، وكي لا تتحول إلى فوضى عمياء، يكون الحظ للمتسلط، والمنطق للقوي، كما عليه شريعة الغاب، حيث لا خبز ولا قوت للضعفاء والمساكين، وقد بُني نظام التكوين على وجود الممانعة ووسائل الدفاع، فالجسم السليم يكون كذلك لوجود وسائل الدفاع التكوينية مثل كريات الدم البيضاء بالإضافة إلى الوسائل الأخرى التي أوكلت لإبداع العقل وتخطيطه. والحيوان يحمي استمرار معيشته بامتلاك وسائل الدفاع عن ذاته، ومن يقرأ في التقريرات العلمية عن ذلك يرى عجباً في دقة الخلق وحكمته والتي تحكي وجود قدرة حكيمة مدبِّرة من ورائها، هو الله رب العالمين جلَّ شأنه، وحتى الوردة تحتمي بشوكها من جهة وتحتمي من العواصف بلين غصنها.

وحسن العلاقات الاجتماعية يكون بوجود أخٍ حميمٍ يدافع عن أخيه، عندما يتعرض لأذى، أو يسدُّ عنه باب جهالة أو ضلال أو ضياع.

وقد قال الإمام الباقر عليه السلام: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه، نصرهُ الله في الدنيا والآخرة ومن لم ينصره ولم يعنْه ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه إلا خفضه الله في الدنيا والآخرة»[1].

---

(١) ميزان الحكمة، ج٧، ص ٣٥٣.

ومن فوائد المسالمة:

١ - الحد من العنف.

٢ - هدوء الشخصية.

٣ - شيوع الأمن والاطمئنان والصدق.

٤ - تأكد مفهوم الأخوة بين الناس.

٥ - الإقلال من المشاكل.

٦ - سلامة المعاملات من الغش والخيانة.

٧ - الثقة بالآخر والاتكال عليه في المعاملات.

٨ - الإبداع في كل شيء.

٩ - هي فرصة البناء والتأسيس والاستقواء.

# ١٧ ـ إنصاف الآخر من النفس

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[٢].

إن من أعظم شِيم الإنسان كفرد في نظام المجتمع أن يمتلك نفسية منصفة عادلة، تعامل الآخر كما تعامل نفسها، ولا تفرّق بين القريب وغيره، ولا بين الأهل والخاصَّة وبين غيرهم. قال الإمام علي عليه السلام: «أنصف الناس من نفسك وأهلك وخاصتك ومن لك فيه هوى واعدل في العدوّ والصديق»[٣].

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٤.

إن الإنصاف من مفردات وقفات الحق التي فُطرنا عليها، والتي لا يحيد الفرد عنها إلا عندما تتغلب عوامل أخرى مضادّة لها، وهذه النفسية النقية تتوازن مع الآخر، حتى مع من ساء التفاهم معه، فتحب له كما تحب لها وترضى له كما ترضى لها، وترحم كما تحب أن تُرحم، ولا تؤذي كما لا تحب أن تؤذى. إن هذا الإنصاف والتوازن يبعِّد صدور الأذى والشر اتجاه الآخر، وإن حصل، فسرعان ما يواجه صحوة الضمير، والتراجع بطلب العفو والصفح، وهذه الخصلة، كما ترى، تبعث الروح إلى العلاقات الاجتماعية، كما قال الإمام علي عليه السلام: (العدل حياة)[1] وتدفع نحو الاستقرار والعطاء.

ومن أبعاد الحياة في النفسية المنصفة والعادلة، أنها تدفع بصاحبها كي يعالج بعض المفاسد، فيما لو صدرت منه كالحسد والتكبر والاستهزاء، فإن المبتلى بهذه لو وقف وقفة الإنصاف مع نفسه، لتنبَّه لزلات النفس الأمارة بالسوء وشيطانها، ولعلم أن الآخر عبد من عبيد الله مثله، فلماذا يحسده على أمرٍ ما أو يتكبر عليه أو ينظر إليه بعين الاستخفاف والاحتقار، والبشر كلهم أولاد آدم وحواء عليهما السلام، والكل كان نطفة وسيتحول إلى جيفة، والكل عابر قنطرة الموت، باتجاه لقاء الله ومحكمته والحشر بين يديه.

ومن هنا قال الإمام علي عليه السلام:

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٩٩.

«لا تتبعنّ عيوب الناس فإن لك من عيوبك إن عَقلْتَ ما يشغلُكَ أن تعيب غيرك»[1].

ولا طريق لنا في إحياء هذه الخصلة إلا بالرجوع إلى القيم الأخلاقية، وإلى التأمُّل والتفكُّر، في ساعة هادئة نرجع بها إلى نفسنا.

ومن آثار هذه النفسية المنصفة:

١ ـ حياة المجتمع وحيويته.

٢ ـ احترام الآخر.

٣ ـ تأليف القلوب والمحبة وشدّ أواصر الأخوة.

٤ ـ الأمن والاطمئنان في المعاملات.

٥ ـ التناهي عن الظلم ومواجهته.

٦ ـ علاج الأمراض النفسية.

٧ ـ الانتصار للمظلوم وحسن السياسة.

٨ ـ تضاعف البركات.

٩ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقبُّلهما.

١٠ ـ المواساة.

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٣٨.

ومما جاء في الإنصاف والعدل عن الإمام علي عليه السلام:

١ ـ «ارحم من دونك يرحمك من فوقك، وقس سهوه بسهوك ومعصيته لك بمعصيتك لربك وفقره إلى رحمتك بفقرك إلى رحمة ربك»[١].

٢ ـ «أحسن العدل نصرة المظلوم»[٢].

٣ ـ «بالعدل تضاعف البركات»[٣].

٤ ـ «من لوازم العدل التناهي عن الظلم»[٤].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٣٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٤٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٤٦.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٤٦.

# ١٨ ـ البِرُّ والإحسان

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[١].

إن النفس إذا ما تحلَّت بخلُقُ السخاء والكرم والإحسان، تكون متدرِّجة في سلَّم الكمال الإنساني، وللكرم درجات أعلاها الإيثار بالموجود، وتقديم الآخر على النفس، وهي من أروع آيات الإنسانية في الفرد، وقد امتدح الله تعالى في سورة الدهر أهلَ بيت النبي ﷺ الإمام علي عليه السلام والسيدة الزهراء عليها السلام والإمامين الحسن عليه السلام والحسين عليه السلام عندما آثروا المسكين واليتيم والأسير، وهذه الخصلة مكتسبة، قابلة للتطور، ضمن برنامج تربوي داخل الأسرة أو في المؤسسات التربوية وغيرها.

إن الطفل الذي يشاهد أبواه يتفاعلان مع دعم الفقراء، أو يقومان بتقديم الهدايا، أو يشاركان في مؤسسة خيرة، يأخذ درساً في حياته لن ينساه أبداً، وكيف لو أراد الأب أن يتصدق أو يهدي فيدفع بولده أمامه كي يقدمها بيد ولده!.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

ومن هنا لو تأملنا في عملية العطاء والكرم والإحسان لرأينا أنها معنيَّة مباشرة بالآخر، حيث تفيض النفس بمشاعرها الإنسانية، وتُظْهر مشهداً انصهارياً بالآخر.

إن العطاء والكرم بكل أشكاله يعيدُ الأمل بالحياة لدى من تقطّعت بهم السُبُل، فيزرع بسمة على شِفاه فقير، ويثلج قلب مريض بالفرح، ويفتح المجال لإكمال الدراسة بوجه تلميذ مهدَّد بترك المدرسة لاعواز أهله، كما هو السبب في إنشاء المؤسسات الخيرية، إن الكرم له أثره حتى على المشاهد والمراقب، فتتحرك مشاعره مدحاً وثناءً، ويبقى صداه مدى التاريخ كصدى كرم حاتم.

والسؤال: كيف يتحقق العطاء بأشكاله المختلفة؟

والجواب: يتحقق في عدة أمور:

١ ـ بالهدية التي هي أفضل صلة وصلٍ بين القلوب.

٢ ـ بدفع الحقوق الشرعية والضرائب القانونية.

٣ ـ بإنشاء المؤسسات على أشكالها لدعم المساكين والمعاقين ودعم الاختصاصات، ولو بالمساهمة فيها.

٤ ـ بالضيافة والإيواء.

٥ ـ بتشجيع المعطي على الإعطاء، وللإعلام دوره الفعَّال.

وقد شجع الإسلام على هذه الخصلة الطيبة بعناوين متعددة

مثل: الكرم والإنعام والسخاء والِبرّ والإحسان والجود والعطاء والصدقة والهدية والإطعام والضيافة والمعروف والبذل والإيثار والنفقة...

وجعل هذا العطاء بخدمة الحاجات الفردية وبما يرجع إلى المصلحة العامة كبناء الجسور والمدارس والسدود وغيرها...

وجعل للصدقات الواجبة الموارد المحدَّدة وضمن شرائط خاصة، وأما المستحبة فوسع من دائرتها لتشمل كل أفراد المجتمع كما في فتوى الصدقة ما هذا نصُّه: «لا يعتبر في المتصدَّق عليه في الصدقة المندوبة الفقر ولا الإيمان ولا الإسلام، فتجوز على الغني، وعلى الذمي والمخالف وإن كانا أجنبيين، نعم لا تجوز على الناصب ولا على الحربي وإن كانا قريبين»[1].

وقد ورد في فتوى الفقهاء كما في الأدلة الشرعية عدة نقاط:

١ ـ صدقة السرِّ أفضل.

٢ ـ يستحب المساعدة والتوسيط في إيصال الصدقة.

٣ ـ يكره ردّ السائل[2].

وأما آثار الصدقة نذكر منها:

١ ـ شيوع المحبة.

---

(١) تحرير الوسيلة، ج٢، ص ٨٦.
(٢) المصدر السابق.

٢ ـ حل مشكلة البخل تربوياً.

٣ ـ التحصن الأسري وحلّ كثير من المشاكل وقد يكفي بذلٌ عن قتل.

٤ ـ إنشاء المؤسسات الإنسانية.

٥ ـ ردم الهوَّة الطبقية بين الفقراء والأغنياء.

٦ ـ إحياء الآمال في النفوس المنكوبة، بالتكفل وغيره.

٧ ـ تداعي الإحسان بالإحسان.

٨ ـ الذكر الحسن للمنفق.

٩ ـ بالبذل يدافع عن الأوطان وتقوى به الممانعة داخل الأمَّة.

إن البذل المالي يتقوم بالنية الخالصة لا بالكثرة عند الله تعالى، فإن الإمام علي ﷺ تصدق على المسكين السائل بخاتمه، وهو راكع في صلاته بين يدي الله تعالى، كما رواه أبو ذر الغفاري[1]، فهذه الصدقة على قلَّتها نزل بها القرآن الكريم والذي قرن وصف التصدُّق بمقام الولاية والإمامة واكتفى بذكر التصدق عن ذكر المتصدِّق الذي هو الإمام علي ﷺ بإجماع المفسرين وهو ولي الله من المؤمنين بعد رسول الله ﷺ حيث قال تعالى:

---

(١) راجع الميزان في تفسير القرآن، ج٦، ص ٢١.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[١]. فالصدقة على قلَّتها كبيرة في موازين الله تعالى إن كانت قربةً إلى الله تعالى، كما أن الصدقة الكثيرة لا قيمة لها عند الله إن كانت رياءً أو قارنها مَنٌّ أو أذى.

وبين أيدينا عدة روايات حول موضوعنا:

١ ـ «أحسن الناس عيشاً من عاش الناس في فضله»[٢].

٢ ـ «كن بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً»[٣].

٣ ـ «الجود كرم الطبيعة»[٤].

٤ ـ «رأس السخاء تعجيل العطاء»[٥].

٥ ـ «الإحسان محبة»[٦].

٦ ـ «ثمرة الكرم صلة الرحم»[٧].

٧ ـ «من أحسن إلى الناس حسُنت عواقبه وسهلت له طرقه»[٨].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ٥٥ ـ ٥٦.
(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٧٦.
(٣) المصد السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق، ص ٣٧٧.
(٦) المصدر السابق، ص ٣٨٦.
(٧) المصدر السابق، ص ٣٨٠.
(٨) المصدر السابق، ص ٣٨٦.

٨ ـ «صنائع المعروف تقي مصارع الهوان»[١].

٩ ـ «أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه وبسط بالقدرة يديه»[٢].

١٠ ـ «أحلى النوال بذل بغير سؤال»[٣].

١١ ـ «خير المكارم الإيثار»[٤].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٨٦.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٨٧.

(٣) المصدر السابق، ص ٣٧٧.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٧٦.

(٢)

# ضوابط وحدود اجتماعية

## ٢ ـ ضوابط وحدود اجتماعية

يوجد لدينا قواعد عامّة إذا ما روعيت في علاقتنا العامة، المشحونة بالتوتر، والاختلاف في التقييم، والمزاج، وتعارض المصالح، ساهمت إلى حدٍّ كبير في تخفيف المنازعات والتشنُّجات، وشكَّلت الضمانة في عدم وصول الخلافات إلى الحائط المسدود، ولا أقل إنها تفتح الأبواب لحلِّ المشاكل وبأقل الخسائر والأضرار.

لأنه كما ألمحنا كثيراً أن الحالة الاجتماعية حالة متداخلة ومنصهرة، وكلنا بحاجة إلى الآخر، ولا يمكن أن يستغني أحد عن أحد في كل ظروف الحياة، كما خططت لذلك القدرة الإلهية الحكيمة، فلا مناص من الارتكاز على شرائط السلامة هذه، في تهدئة الأوضاع، مع تنظيمها في معترك الحياة الاجتماعية، والتي أولاها الشرع المقدس كل الاهتمام في دستور السماء، الذي أُنزل رحمة بالعباد ولطفاً، كما للعقل

دوره المدرك لمثل هذه الشرائط والضمانات والضوابط، والتي سنذكر ما نقدر على الإحاطة به، مع الاعتراف بالشعور بالعجز، ومهما كان فالاستقصاء محدود.

# ضوابط وحدود اجتماعية:

١ ـ أتفهَّم الآخر كي أتعايشَ معه.

٢ ـ أنتظر الخطأ من كل إنسان ما عدا المعصوم عليه السلام ولا أتفاجأ.

٣ ـ أؤَمِّل الخير من كل إنسان وقد يكون أفضل مني.

٤ ـ لا أتدخّل في وظيفة الآخر وأتعاون معه.

٥ ـ أحترم الرأي المخالف وأحاوره.

٦ ـ أغضُّ النظر عن أمورٍ وأتجاهلها.

٧ ـ دوماً لديَّ جلسة التشاور والتقييم.

٨ ـ أبادر على الدوام بالتي هي أحسن.

٩ ـ أُصلحُ نفسي أولاً ثم الآخر.

١٠ ـ أعمل بجرأة على إنهاء المشكلة.

١١ ـ أدعو إلى التهدئة لأن الانفعال السلبي سبب لكل مشكلة.

١٢ ـ الصلح مهما أمكن أفضل من خسارة الفرقة.

١٣ ـ أحذر من وسوسة الشيطان على الدوام.

١٤ ـ أراهن على ألطاف الله الخفيَّة مع مرور الأيام.

١٥ ـ أتحلَّى دوماً بصفة المربي.

١٦ ـ أحاول أن لا أعيش الفراغ والبطالة.

١٧ ـ أقنع بالموجود ولا أتحسَّر على مفقود.

١٨ ـ لا أحوِّل بيتي إلى حلبة صراع.

١٩ ـ أعيش دوماً الرحيل باتجاه لقاء الله.

## ١ ـ أتفهَّم الآخر كي أتعايش معه

قال الإمام علي عليه السلام: «الناس أعداء ما جهلوا»[1] والمراد من فهم الآخر هو الأخذ بعين الاعتبار مشاعره ومزاياه الغالبة في شخصيته فنتجنب كل ما ينفِّره ونتعاطى معه بما يريحه.

فإن للطفل وضعه الخاص به يختلف عما عليه الكبير، وطبائع المرأة وأحاسيسها تختلف عن طبائع الرجال، والمرتاح في حياته يختلف مزاجه عما هو مضطرب بمشاكله، وللأم أحاسيس اتجاه ولدها خاصَّة بها، وكذلك أحاسيس الصديق اتجاه صديقه، وهناك منفِّرات لا يرتاح لها هذا الفرد بينما تتلاءم مع آخر، وعليه لا بدّ أن نسلِّم بمفهوم عام هو أن لكل إنسان خصوصياته ومشاعره الخاصَّة ومزاجه المتميِّز وقد يتشابه مع الآخر وقد يختلف، وقوة الشخصية الاجتماعية أن تتقارب إلى الآخر وتحاول الانصهار معه، وتتجنب ما ينفر ويزعج ولو كانت عادة متعارفة، والسؤال: ما هي عمدة الفوارق بين الأفراد؟

---

(١) نهج البلاغة، ص ٧٠٢.

١ ـ العادات العرفية التي تُكتسب كعادة فتح البيت للضيافة. . .

٢ ـ المزاجات الطبيعية كالهدوء أو الحدَّة، والمرح أو الجدية وغيرها.

٣ ـ الضواغط الخارجية الطارئة كالهمّ الحادث لفقرٍ أو مرضٍ وغيرها.

٤ ـ نوع الوظيفة فهناك عمل مريح وهناك عمل مضنٍ وشاق. . .

٥ ـ التربية الخلقية، فهناك من يعيش مصالحه الشخصية وفي مقابله من يعيش همَّ المصالح العامة والكبرى، وهناك من يعيش الإيثار وفي مقابله من يعيش ليأكل، وهناك من يتعايش مع ضجيج الأولاد وفي مقابله من يتضجَّر من ذلك إما لعلةٍ مرضية وإما لضيقٍ في نفسه، إلى غير ذلك. . . .

٦ ـ تجارب الأيام فإنها تؤثر في شخصية الفرد سلباً أو إيجاباً بحسب فهمه لمجريات الأمور، وهذه تنتج لنا الفوارق في الأفراد ولكن بعد مدة زمانية متمادية، وقد تنتج لنا توصيفاً مضاداً في تاريخ نفس الفرد فمن وعظته تجارب الحياة قد يتحول إلى رجل كريم بعد زمن من البخل وهكذا.

وكلما اشتملت الشخصية على المزايا والخصال الفردية التي ذكرناها في القسم الثاني من الكتاب كلما كانت هذه القواعد أكثر

فعالية وكانت النتائج أكثر نجاحاً، وفي المقام أذكر حادثةً من وحي الواقع تُظهر الأبعاد المهمَّة لقيمة معرفة الآخر في الحياة الأسريَّة:

رجلٌ في إحدى المنتزهات، يُعجب بمشهد زوجين يتناولان المرطبات والبزورات على طاولتهما، والمؤانسة بادية في جلستهما، وصفو البال مخيِّم على وضعهما، مما أثار شعور الغيرة لديه، وعندما رجع إلى داره، طلب من زوجته أن تهيِّئ ما يناسب لجلوسه معها على طاولة المؤانسة ومن غير اعتياد، والجواب المفاجئ كان هو الاعتذار لوجود أمور تريد أن تتابعها في المطبخ، ولكن بكل برودة طلبت منه تأجيل ذلك إلى وقت آخر، وردُّه كان ثورة غليان في داخله استطاع كتمانه في صمت وتأمُّل، وإذا بأحد أولاده يطلب منه أمراً وبإلحاح، عسى أن يرقَّ له قلبه، ولكن بركان الغضب يتنفس لدى الوالد بقساوة على ولده، وعندها يصرخ الولد باكياً، والأم تتدخل لصالح الولد دفاعاً عنه، وإذْ بالمشكلة تترنَّح على كلمات متبادلة بين الزوجين، ثم تتطور إلى كلمات قاسية ونقدٍ لاذع واستذكارٍ لمشاكل مضت، مما أوصلت الأمور إلى حائط مسدود في أفقهما الضيِّق، وعندها هدَّد الزوج بالطلاق وتحدَّته زوجته إن قدر على ذلك.

وعند سماع مثل هذه المشكلة نستذكر قول الإمام علي عليه السلام:

ـ «لا عصبية أشد من الجهل».

ـ «ويل لمن تمادى في جهله»[1].

ولحسن الحظ أن الزوجين توافقا على الطلاق عند رجل دين استطاع أن يفهم حقيقة المسألة بصبرٍ وتروٍّ، وساعدته ظروفٌ منها الخوف الباطني لديهما من الطلاق بسبب الأولاد، والطيبة التي يمتلكانها، وكان السرُّ الأعظم في هذه المشكلة أنهما كانا يفقدان الصراحة فيما بينهما، ولم يكن لديهما التخطيط المسبق لسير علاقتهما مع بعضهما البعض، وكانت تحيط بهما حالة جهل بشخصية الآخر ومشاعره وأحاسيسه بالإضافة إلى فقدان الأسلوب الناجح للوصول إلى غرضهما، وبعد هذا نقول: إن فهمَ الآخر سبب مهمّ في تذليل صعوبات التعايش معه.

وحاجة التعايش لفهم الآخر تنطبق على الجماعة، لأن الجماعة تختلف في عاداتها وتقاليدها والمتعارف فيما بينها عن جماعة أخرى، فإن ثقافة المدينة تختلف عن ثقافة القرية، غاية الأمر أن الفرد في عيشه المشترك، يتنازل عن كثير من خصوصياته، وبالتدريج تصبح عادات المجتمع هي عاداته، إما للاضطرار إلى ذلك وإما لإعجابه وارتياحه، والفرد الجديد الذي يريد أن يندمج في مجتمع المدينة أو القرية. . . . لا بدّ أن يأخذ بحسابه العادات العامة حتى لا يكون فرداً غريباً عنهم، وإذا ما

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٧٣ ـ ٧٤.

أراد أن يؤثر بهم، لا بدّ أن يتفادى كل ما ينفّر اتجاه هذه الجماعة أو تلك، وأن يكون بصيراً بما يتقبلونه ويستسيغونه.

ولا نعني من الكلام أنّ التأثر والتأثير لا يرضخ لضوابط العقل والشرع، ولا نعني أنّ الاستسلام لكل عادة مطلوب حتى لو كانت سيئة.

وعليه فالتأثر والتأثير المراد بهما الجانب الإيجابي ضمن ضوابط العقل والشرع والقِيَم، فإن الممانعة وعدم التأثر بالجانب السلبي هو جزء من التعايش الإيجابي، لأن التعايش في حقل الأزهار يكون بالتفاعل مع جمال المنظر والأريج الفوَّاح، وفي نفس الوقت بالتجنب للأشواك المؤذية، والعمل على حماية الأزهار منها، وعلى إزالتها إن أمكن، وهكذا التعايش في المجتمع كما قال الإمام علي عليه السلام:

«اصبر على مرارة الحق وإياك أن تنخدع لحلاوة الباطل»[1].

فإن العاقل الواعي وصاحب الإرادة لا ينزلق باتجاه الفساد الخُلُقي ولو شاع في بيئةٍ ما، بل يعمل على إصلاحه ولا أقل أن لا يتأثر به، لأن الممانعة الشخصية شرط في كل فرد ينتمي إلى القافلة الإنسانية، التي حماها الله بالعقل والشرع من أيِّ انزلاق.

ثم إن التأثير خصوصاً في المجتمعات، يحتاج إلى جهد

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٧٠.

كبير، والنجاح فيه مرهون لعوامل عديدة، منها تقبُّل نفس المجتمع للطرح المقدَّم إليه، ولعلَّ نبياً أو ولياً معصوماً لا يوفّق لأخذ الناس إلى جادة الصواب، لا لعلَّة لديه بل لموانع أوجدها المجتمع لنفسه وهذا المجتمع هو الذي يتحمل المسؤولية في عدم السير على نهج العدالة والذي يصطلح عليه بالمعصية الجماعية كما قال الإمام علي عليه السلام: «آفة الرعية مخالفة الطاعة»[1]. كما حدث لكثير من الأنبياء عليهم السلام والأوصياء عليهم السلام والأخيار مع مجتمعاتهم التي تنكَّرت لقاداتها ورفضت الطاعة، وهذا ما حدث أيضاً لأهل بيت النبوة عليهم السلام.

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٤٧.

## ٢ ـ أنتظر الخطأ من كل إنسان ما عدا المعصوم ولا أتفاجأ

الإنسان خطّاء إلا من عَصَمَ الله تعالى قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾[1] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2].

وقال الإمام علي عليه السلام: «إن العبد بين نعمة وذنب لا يصلحهما إلا الاستغفار والشكر»[3] وقال عليه السلام «لو أنّ الناس حين عصوا أنابوا واستغفروا لم يعذّبوا ولم يهلكوا»[4].

إن شريعة السماء نظرت إلى الإنسان بنظرة واقعية، وعاملته على ذلك، وأمرتنا أن نتعامل مع بعضنا البعض ضمن هذه الرؤية، فحبيب الله هو التائب من ذنبه وخطيئته، ورحمة الله تشمل الذين لم

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٢٢.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ١٩٥.
(٤) المصدر السابق.

يصرّوا على معاصيهم، ومَحَوْها بالتوبة والاستغفار، لأن النفس أمّارة بالسوء.

وصدور الخطأ من الفرد الذي نتعايش معه، لا يفاجئنا ولا نستهجنه لأننا كلنا في ذلك سواء (وجلَّ من لا يخطئ).

والجهد في مسألة صدور الخطأ ينبغي أن يتمحور حول ما يلي:

١ ـ كيف نتجنب الخطأ ما أمكن إلى ذلك سبيل؟

٢ ـ كيف نصلح الخطأ إن وقع؟

٣ ـ كيف نتناسى الخطأ ولا نحتفظ به في الذاكرة؟

٤ ـ كيف ننظر إلى بعضنا البعض على أننا خطّائين وفي نفس الوقت نتكامل معاً من غير نظرة ترفُّعٍ على الآخر أو نظرة استهانة به؟

إن صدور الخطأ وإن كان أمراً طبيعياً من غير المعصوم إلّا أنّه يمكن العمل على عدم صدوره مهما أمكن ولكن هذا يحتاج إلى برنامج ترشيدي وتوجيهي في البيت أو المدرسة والاستفادة من أخطاء النفس والاستعبار من أخطاء الآخرين.

وينبغي للإنسان العاقل أن لا يكرِّر خطأه، ولا خطأ غيره حتى يسجِّل النجاحَ في تجربته الحياتية.

وإذا ما حصل الخطأ كما هو المتوقّع والغالب بحق الله أو

عباده فعلى الإنسان أن يسارع إلى التوبة المخلصة، النابعة من عتاب الضمير وندمه، مع إيصال تعويض الخسارة المادية إلى أصحابها، أو الاستئذان منهم والتسامح، وأن يعود إلى العمل بما أراد الله منه.

وما المانع من التسامح من الله تعالىٰ ومن الإنسان الذي اخطأنا بحقه؟!

إننا بحاجة إلى صراحة مع النفس، وشجاعة في اتخاذ القرار وتنفيذه، لا أكثر من ذلك.

وأما أخطاء الآخرين فاعمل على إصلاحها بالكلمة أو التصرُّف المربي له والمناسب مع مراعاة وضع المخطئ بدقة، واغتنم الفرصة المناسبة للتأثير فيه ولو كان بالاستفادة من الوقت.

وأفضل الأوقات والظروف المناسبة:

١ ـ عند هدوء البال.

٢ ـ الاستفادة من إنسان محترم ومسموع الكلمة لديه.

٣ ـ اغتنام فرصة مؤثرة محزنة أو مفرحة.

٤ ـ ضمن مقدمات لطيفة كاصطحاب هدية أو تقديم مساعدة إنسانية.

هذا إذا أمكن إصلاح الخطأ، وإذا لم يمكن ولو في ظرف آنيٍّ

ما، فلا مجال أمامنا إلا التغافل عن هذا الخطأ والتعامل مع صاحبه وكأنه لم يصدر منه كما قال الإمام علي عليه السلام: «أشرف أخلاق الكريم تغافله عما يعلم»[1]، مع الاستفادة من مرور الأيام فإنها نعم العون على الإصلاح.

وما دمنا خطَّائين، فحذار أن ننظر إلى المخطئ نظرة مقتٍ واستهانة، لأن الإنسان الخطّاء قابل للإبداع والتوبة والإصلاح والعطاء والتكامل، وقابل أن يصدر منه كل لياقة تسلب القلوب احتراماً وإجلالاً، والصحيح أن ننظر إلى بعضنا البعض بنظرة إجلال واحترام وتقدير، بنظرة ملؤها التفاؤل وحسن الظن، بنظرة نغضُّ فيها عن العيوب ولا ننظر إلا إلى الحسنات، كما نتعامل مع النحلة فننظر إليها بأنها مصدر العسل الشهيّ ونغضُّ نظرنا عن سُمِّها الذي تمتلكه للدفاع عن ذاتها وعن خليَّتها، وكما ننظر إلى جمال الطبيعة مع غض النظر عما ينفر فيها، وكما ننظر إلى الوردة فننشدُّ إلى جمالها وكأنها لا شوك حولها، وهكذا ينبغي أن نكون مع بعضنا في «تعاملنا مع الآخر» كما قال الإمام علي عليه السلام: «أمقتُ الناس العيّاب»، «تأمُّلُ العيبِ عيبٌ»، «تتبع العورات من أعظم السَّوْءات»[2].

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٥١.
(٢) المصدر السابق.

## ٣ ـ أؤمِّل الخير من كل إنسان وقد يكون أفضل منيِّ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾[(١)].

الإنسان أخ الإنسان وكل فرد يشكِّل جزءاً في هرم المجتمع وعليه لا بدَّ أن تكون النظرة إلى الآخر ضمن النقاط التالية:

١ ـ أن لا يفرح بسقطة غيره ولا يشمت به. كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا تفرح بسقطة غيرك فإنك لا تدري ما يحدث بك الزمان»[(٢)].

٢ ـ عدم حفظ عيوب الآخر كما قال الإمام علي عليه السلام: «حسب المرء... من سلامته قلَّة حفظه لعيوب غيره»[(٣)].

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.

(٢) ميزان الحكمة، ج٧، ص ١٤٩.

(٣) المصدر السابق.

٣ ـ عدم تتبع عيوب الآخرين كما قال الإمام علي عليه السلام: «ليكن أبغض الناس إليك وأبعدهم منك أطلبهم لمعائب الناس»(١).

٤ ـ هدايته إلى عيوبه. كما قال الإمام علي عليه السلام: «ليكن أحبّ الناس إليك من هداك إلى مراشدك وكشف لك عن معايبك»(٢).

٥ ـ ستر عيوبه كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يجب للمؤمن على المؤمن أن يستر عليه سبعين كبيرة»(٣).

٦ ـ التفاؤل بالآخر وحسن الظن به كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾ فخير الناس من احتمل أن يكون كل فرد من أفراد مجتمعه هو خير منه وأفضل، ما دام يملك كل اللياقات الإنسانية والله يفعل ما يشاء في عباده، حيث قلوبهم بيده، وهو صاحب الفضل والفيض عليهم، وإليه يرجع الأمر كله جلَّ شأنه، بل إن نظرة التفاؤل بالآخر وحسن الظن به، هي أدب إلهي أدَّب به أنبياءه، وكان جزءاً من رسالتهم إلى الناس، كما ورد عن النبي عيسى عليه السلام:

«مرَّ عيسى عليه السلام مع الحواريين على جيفة فقال

---

(١) المصدر السابق، ص ١٤٧.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤٦.

(٣) المصدر السابق.

الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب، فقال عيسى عليه السلام ما أشد بياض أسنانه»[1].

إن هذه النظرة المتفائلة، لا ترى سوى الخير والفضيلة، ولا ترى إلّا الجانب الإيجابي، وتغض النظر عن أيّ عيب وقذارة، فهي التي «لا ترى من الكأس إلا بقية الماء» «ولا ترى من جيفة الكلب إلا بياض الأسنان».

ثم لماذا النظرة المتشائمة ولماذا لا ننسى أخطاء الغير؟ لماذا نعمل على كشف عيوبه بدل سترها؟ لماذا نطلب فضيحة وإسقاط من هو بمثابة يدنا التي تساعدنا؟ لماذا نعمل على إسقاط الخبّاز والمزارع ونحن بحاجة إلى خبزه وزرعه؟ لماذا نؤمِّل الخير لنفسنا وأولادنا ولا نؤمِّله في الآخر؟، إن واقعنا يدعو إلى الأسف وخيبة الأمل عند روّاد الإنسانية، ويظهر ذلك جلياً في معاتبة النبي عيسى ابن مريم لأصحابه، في صورة حسية رائعة فيقول:

«أرأيتم لو أن أحداً مرّ بأخيه فرأى ثوبه قد انكشف عن عورته، أكان كاشفاً عنها أم يردّ على ما انكشف منها؟! قالوا: بل يردّ على ما انكشف منها، قال: كلا بل تكشفون عنها»[2].

إن نظرة اليأس من صلاح الآخر هي نظرة خاطئة بل هي نظرة

(١) المصدر السابق، ص ١٥٢.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٨.

ظالمة، لأن كل فرد فيه قابلية الرشد والتكامل ولهذا خلق الله سبحانه خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه.

إن النظرة الظالمة هذه تنافي تشريع التوبة والاستغفار، وجهاد النفس، وترويضها على مكارم الأخلاق.

والصحيح هي النظرة المتفائلة والتي إن ترسَّخت في قاموس ثقافتنا، وأصبحت متجسِّدة في طبائعنا المعاشة وفي تعاطينا الاجتماعي، لتخلصنا من كثير من الأخطاء الهدَّامة، والتي يدفع ثمنها الأفراد غير المحميِّين والضعفاء، بالإضافة إلى الخسارة الكبرى للمجتمع في هدفه المنشود، والذي هو بناء المدينة الفاضلة، وعندئذٍ نرتاح من ثقافة اليأس المحبطة والمنتشرة أمثال:

- فلان ميؤس منه فلا خير منه.
- هذه القرية غير مأمول بأهلها.
- الراسب في مدرسته الأكاديمية لا ينفع في المدرسة المهنية.
- الغضوب لا يهدِّئه شيء.
- المخطئ في شيء هو مخطئ في كل شيء.
- توبتي مقبولة وتوبة غيري غير مقبولة.
- ابن الفاسق فاسق وأسرته لا تُعاشر.
- الفاشل في التجربة الأولى، هو فاشل ولو في التجربة الألف.

ـ لا أنتظر الإبداع والتفوّق من أبناء بلدتي ورفاق صفّي، لأن «مغنية الحيّ لا تطرب».

إن سرعة الخلاف الموجود في تجاربنا الاجتماعية أو المبالغة في المواقف السلبية أو رفع مستوى الخلاف الأسري إلى الطلاق أو القطيعة، كلها نابعة من هذا الفهم الخاطئ والشيطاني لقيمة الإنسان وجوهره.

أما العلاج والمواجهة لمثل هذه المفاهيم يكون بما يلي:

١ ـ بتقوية الثقافة الفردية عن القيم الأخلاقية.

٢ ـ الممارسة الصحيحة للتعامل الصحيح مع الآخر.

٣ ـ المتابعة وعلى الدوام لإرشادات الشرع الحنيف.

٤ ـ عدم ترتيب الأحكام القاسية على الآخر مهما بلغت المواقف، ليبقى للرحمة مجال.

٥ ـ الإكثار من الاستشارة قبل التسرُّع في أي حكم.

٦ ـ الاستفادة من عامل الوقت في تأخير أخذ الموقف الحاسم، لأن الأمور كلما بردت كانت أقبل للحلّ وأطوع.

# ٤ ـ لا أتدخل في وظيفة الآخر وأتعاون معه

قال الإمام علي عليه السلام: «هلك امرؤ لم يعرف قدره»[(١)].

من المسلمات العرفية قبح التدخل في وظيفة الآخر لأنه تدخل فيما لا يعنيه وفي غير اختصاصه وهذا ضرره من الواضحات، وإن كان من صنف وظيفته، فعليه احترام مشاعر هذا الآخر، واحترام دوره لأنّ أي تجاهل بحقِّه يولِّد الخصومة والصدام معه والعناء، وإن كان ضعيفاً عن الردّ، فلسوف يحقد على هذا الطرق المتدخلِّ والمتحرِّش، نعم لو اضطر إلى تدخل معين ولو بأي ذريعة، فليكن ذلك ضمن مراعاة الطرق الأخلاقية والتي منها الاستئذان، أو إظهار المشاركة، وعندما يلمس أي حساسية من ذلك، فليحسن الاعتذار وطلب العفو والمقدرة. وأي تجاوز عن الحدود الشخصية، فلسوف لا محالة يدخل في حرمة

(١) المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ١٠٤٢.

الحدود الأخرى. فالمدير الناجح هو الذي يحترم عمل موظفيه ولا يحسِّسهم إلا بثقته التامة بهم وإن كان من جهة أخرى هو المراقب والمحاسب.

والحياة الأسرية الناجحة هي التي تحافظ على الأدوار الوظائفية فيما بين أفرادها، فيعرف الزوج متى يستعمل حقه الوظائفي، في التوجيه والمحاسبة، للزوجة وللأولاد، وتحسِنُ الزوجة كيف تستعمل وظيفتها العاطفية أيضاً اتجاه الزوج والأولاد، ولا يُقدَّم أيٌّ أمرٍ على الوظيفة التربوية للأولاد.

ومراعاة الوظيفة مع عدم تجاوز الحدِّ يتطلب عدة أمور:

١ ـ المعرفة التامة بالوظيفة الشخصية حتى يحسن أداءها.

٢ ـ المعرفة التامة بوظيفة الآخر حتى أراعيها ولا أتعدّى عليها.

٣ ـ إحياء حسّ التعاون بين أصحاب الوظائف مع المحافظة التامة على الاحترام المتبادل.

٤ ـ أن يراعى بين الموظَّف ووظيفته، بحيث يكون الرجل المناسب في المكان المناسب، وإن اقتضت الضرورة لغير ذلك، فلا بدَّ من تكثيف الجهد للقيام بهذه الوظيفة، المرأة التي تفقد حضور زوجها ولو لداعي السفر فعليها في النيابة عنه أن تضاعف من جهدها للقيام بالوظيفة المزدوجة فتؤدي دورها العاطفي كأم

وتؤدي دورها الإداري كأب، وهكذا في كل مورد تقتضي الضرورة للنيابة عن آخر في وظيفته، ولو ضمن الميسور والمقدور.

إن عدم مراعاة الوظيفة المناسبة والتدخل الفضولي في وظائف الآخر، له مردوده السلبي وعواقبه التي لا تحمد، فقد يشتِّت الأسرة من جهة وقد يضيِّع عدة أهداف من جهة أخرى وهكذا. . . كالذي ينصِّب نفسه لهداية الناس، وهو غير جدير بالوعظ والإرشاد، فلسوف يكون مردود فعله خلاف الهداية، وسيوقع الناس في كثير من الشبهات، والضياع في المجهول، وكالذي يدَّعي الطبابة وهو غير جدير بها، فلسوف يُمرض السليم ولا يشفي المريض.

نعم التعدد الوظائفي الذي تتطلبه طبيعة متطلبات الحياة، إذا ما نافاه التدخُّل الفضولي، فإنه لا ينافيه التعاون والتشاور والتوكيل المناسب، ضمن قواعد الاحترام المشترك، خصوصاً في جلسات التقييم، والتي لها دورها البارز في نجاح العمل واستمراره على وتيرة النجاح، فالأسرة كما في كل إدارة كم تستفيد من وضع الخطط للأهداف المطلوبة وكم تنتفع من النقد المتقابل في جلسة الحوار والتشاور هذه!

ويكفي في الانتفاع طرح الحلول للمشاكل العالقة، والتوقي من تكرار الخطأ الحاصل، والاستفادة من واقع التجربة الحاصلة.

# ٥ ـ أحترمُ الرأي المخالف وأحاوره

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾[١] النتيجة الطبيعية لكل اثنين هو الاختلاف بالرأي بسبب تعدد المزاجات والأهواء والمواهب وطرق التقييم، وكل فرد تتأثر آراؤه بالقناعات المرتكزة لديه والتي تشرَّبها من بيئته أو من تربيته أو نتيجة التجارب الصحيحة أو الخاطئة. إن الذي عايش تجربة الحياة، ورأى تجارب الآخرين، رأيُهُ أقوى وأرقى ممن هو حديث العهد في تجارب حياته.

ومن هنا شجَّع الشارع المقدَّس على الاستشارة والمحاورة وتبادل الآراء والاستماع إلى الرأي المقابل والمعاكس كما قال الإمام علي عليه السلام:

«اضربوا بعض الرأي ببعض يتولد منه الصواب»[٢]. إن تعدُّد الآراء والاختلاف فيما بينها، من علامات السلامة في المجتمع،

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٤٢.

ومن علامات النجاح، ما دام الأمر محكوم للضوابط العقلية والشرعية والخلقية.

ومن بركات تعدَّد الرأي ما يلي:

١ ـ اكتشاف الرأي الخفي الذي لم يكن بالحُسبان.

٢ ـ معرفة وجه القبح في بعض الاحتمالات بسبب الإضاءة عليه من قِبَل بعض الآراء.

٣ ـ معرفة أوجه الصواب في بعض المحتملات بسبب الآراء المتعدِّدة التي ألقت الأضواء عليها.

٤ ـ تقوية الثقة مع الآخر بسبب احترام رأيه.

٥ ـ الأقربية إلى الصواب عندما نأخذ الأحكام النهائية من أجل تحقيق الأهداف، ويعجبني قول أحد الأطباء الذين شقّوا طريق نجاحهم بجدارة: إنني في العملية الجراحية أختار المشاركة مع طبيب آخر، لأن العملية بأربعة أيادٍ وأربعة عيون أنجح وأسلم.

ولا بدّ من الإشارة إلى أن الاختلاف بالرأي لا يستلزم الفرقة والشقاق والاقتتال، إلا عند الجهَّال، وأصحاب النوايا الشريرة في المجتمع، وأصحاب المصالح الشخصية، التى لا تراعي المصالح العامّة وتقاتل من أجل أنانيتها.

إن الاختلاف بالرأي حالة حضارية وأخلاقية، وأما الخلاف

والفرقة والشقاق هو حالة لا أخلاقية، إن الاختلاف في النظرية بين الأطباء والفقهاء، من علامات الخير والبركة، والتي تقوِّي حالة الاجتهاد للوصول إلى المطلوب، أما المقاتلة والشِّجار والمحاربة نتيجة اختلاف الآراء، هي مضيَّعةٌ لكل الأهداف، وقاتلة لكل الطاقات، ومدمِّرة للحركة الاجتماعية الهادفة.

إن في اختلاف الرأي انتصار للحق والصواب، وأما الخلاف والفرقة والشقاق مقتل للجميع، ومشرذم للمجتمع، وهو سبب لسيادة مفهوم العائلية والقبلية والقومية والحزبية، وسبب لتراكم الأحقاد والعناد في النفوس، مما يؤدي إلى كسر الكثير من المصالح العامّة.

ومن هنا ينبغي عند الحوار، وتبادل الآراء، وضربها مع بعضها البعض الالتفاف والتنبُّه إلى وسوسة الشيطان الرجيم والنفس الأمّارة بالسوء، خوف تحوُّل المشاورة إلى معاركة، كما حذَّر من ذلك أمير المؤمنين علي عليه السلام بقوله:

«آفة المشاورة انتقاض الآراء». وقوله «إذا ازدحم الجواب نفي الصواب»[1].

وجاء عنه عليه السلام:

«إياكم والتدابر والتقاطع وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

---

(١) المصدر السابق.

وجاء أيضاً: «من نكد الدنيا تنغيص الاجتماع بالفِرقة والسرور بالغُصَّة».

وجاء أيضاً: «كثرة الخلاف شقاق»[1].

ومما تقدم نعرف وجه الجمع بين ما دلَّ على حسن المشورة وبين ما دلّ على قبح الخلاف والفرقة ونختصر هذا الجمع في عنوان: (نختلف في الرأي ولا نتفرق) أو (نختلف في الآراء ونجتمع على النتيجة) أو (أحاور الآخر وأستمع لقوله ونتفق على النتيجة).

(١) المصدر السابق، ص ٤٦٦.

# ٦ ـ أغضّ النظر عن أمور وأتجاهلها

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[١].

إن العفو والصفح من البلاسم الناجحة، في مداواة قسم كبير من مشاكلنا، ولا مناص من ذلك، لأن البديل هو العنف والخصومة والانتقام، كما قال الإمام علي عليه السلام: «من لم يُحسن العفو أساء بالانتقام»[٢].

وبين أيدينا عدة فضائل خُلُقية تساعد على استقرار المجتمع وتجنبه المشاكل عدةُ عناوين، منها: غضّ النظر:

١ ـ التغافل: كما قال الإمام علي عليه السلام: «نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل»[٣]. والتغافل عبارة عن غضّ النظر عن أمر لا يستأهل الوقوف عنده، وكأنه غير موجود.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٤٥.
(٣) المصدر السابق.

٢ ـ عدم الجواب: كما قال الإمام علي عليه السلام: «واقبل العذر وإن كان كِذْباً ودع الجواب عن قدرة وإن كان لك»[١].

٣ ـ قبول العذر حتى لو كان كاذباً[٢].

٤ ـ الإعراض: كما في الآية المتقدمة وقد فسِّر بالمداراة.

إن هذه الفضائل هي من أكبر العلاجات لأمراضنا الشائعة، خصوصاً بين الجاهلين والسفهاء والبسطاء وأصحاب النوايا السيئة، ولأن العقوبة ليست هي الحلُّ الدائم، لعدم توفر ظروف الحلِّ الناجح و«ما كل مذنب يعاقب» كما قال الإمام علي عليه السلام[٣].

إن كثيراً من المشاكل جوابها بعدم الجواب أو بالتغافل عنها، كما هي مقولة بعض الصالحين (إنسَ)، ما دام الخطأ لا يمسُّ الخطوط الحمر في العلاقات الاجتماعية، وما دام أن التغافل وغضّ النظر هو المنبِّه في ذاته للمذنب، وقد يكون المخطئ قد تسرَّع إلى خطئه والسكوت عنه من أكبر المؤدبات له وتركه إلى ضميره ووجدانه، ولا ننسى دور الضمير في وعظ صاحبه، وقد يكون دوره أشد من سياط الجلادين.

ألا ترى أن غضّ النظر عن أخطاء الطفل، في الأمور غير

---

(١) المصدر السابق.
(٢) كما في المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

الرئيسية، هو من العوامل الإيجابية في بناء شخصيته، في حين أن الوقوف على كل شاردة وواردة تنفِّر المخاطب وتضجره، ولعلها تدفع به إلى الانتقام أو الشواذ، كما ورد عن الإمام علي عليه السلام: «كثرة التقريع توغر القلوب وتوحش الأصحاب»[1].

وقال: «رُبَّ كلام جوابه السكوت»[2].

ومن فوائد غضّ النظر والتغافل:

١ ـ ترك المجال لمعاتبة الضمير الإنساني لدى المخطئ.

٢ ـ يمثِّل أفضل وسيلة للتعاطي مع الأطفال وكبار السن والسفهاء من الناس.

٣ ـ يسهل التواصل مع ذوي الأخطاء.

٤ ـ ترتيب الأولويات يحتاج إلى غض النظر عن أمر لمتابعة أمرٍ أهم.

٥ ـ رفع الحساسيات بين الذين يتعايشون معاً على الدوام كما في الأسرة والصداقة وفي المؤسَّسة الواحدة.

ولا بدّ من إلفات النظر إلى أنَّ غضّ النظر لا يكون إلا في مجالاته التي لا تستدعي وجوب الإصلاح ووجوب الأمر

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٧٩.
(٢) المصدر السابق، ص ٢١٥.

بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنّ غض النظر عن ظلم الظالم مشاركة له في ظلمه، وغضّ النظر عن غيبة المغتاب مشاركته في غيبته، والسكوت عن قول الحق بوجه السلطان الظالم شيطنة خرساء.

إن التغافل هو في الموارد التي لا جواب لها إلا التغافل وكأن الأمر لم يقع، كما في مورد كلامٍ غير مناسب صدر من أب أو أم كبيرين، وهما في حالة الغضب، وكما في سرعة موقف ونقد غير ملائم من زوج بوجه زوجته أو العكس، وكما في مورد يُطمئن فيه أن العاصي لا يرتدع عن معصيته، لإصراره عليها، حيث لا تتوفر شرائط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهكذا.

إن كل ذلك من أجل بقاء حالة الصلاح العام والتعايش السلمي بين أفراد المجتمع الواحد، وللزمن لغته، في حلٍّ جزئيات المشاكل التي تتآكل بنفسها مع مرور الزمن وتضمحل لوحدها.

ولنفس هذه الأولوية الكبرى لدى الشارع، والتي هي التعايش المسالم، أمر الشرع الإلهي بمعادلة عكسية في المعاملات السلبية، فأمر بالتواصل مع المقاطع، وبالإحسان للمسيء والظالم، بالإضافة إلى العفو عمن ظلم، وهذه من أعظم النظريات التقدمية في بقاء التعايش المسالم، ببركة هذه القيم الأخلاقية العالية، والتي لا تتناسب إلا مع أهل الجنة، وأهل طاعة الله تعالى

ومرضاته، والراجين للقائه، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى مثل هذه القِيَم بقوله:

«يعجبني من الرجل أن يعفو عن ظلمه، ويصل من قطعه، ويُعطي من حرمه، ويقابل الإساءة بالإحسان»[1].

وكما ترى أن الإمام علي عليه السلام يدعو إلى خطوة متقدمة في التعامل مع الحالة الظالمة في ذات البين الواحد، لأن الظلم المذكور يتعامل معه في البعد الشرعي ضمن حالات:

١ ـ المرافعة لدى الحاكم لحسم الأمر ضمن مقاييس العدالة.

٢ ـ العفو والصفح عمن ظلم بإسقاط الحق الشخصي.

٣ ـ التغافل وغضّ النظر عن مثل هذا الظلم وكأنه لم يحدث.

٤ ـ الإحسان إلى الظالم والمسيء والحالة الأخيرة لا يتقبَّلها إلا من بلغ مرتبة الإيمان بوعد الله وثوابه ولا يتقبَّلها إلا من امتحن الله قلبه للإيمان الصادق.

وهذه الحالة تحكي بعض الأوجه في المدينة الفاضلة، المرجوَّة لحركتنا الاجتماعية، والتي نأمل فيها عدم صدور الظلم، كما وُعدنا ذلك في عصر القائم من آل محمد (عج).

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٤٥.

# ٧ ـ دوماً لديَّ جلسة التشاور والتقييم

قال تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾[١].

إن أهم وسائل التقارب بين الناس هو فتح باب الحوار والتفاهم والمشاورة، وهو سرّ النجاح في إدارة كل مؤسَّسة صغيرة أو كبيرة من مستوى الأسرة إلى مؤسسات الدولة.

ومن فوائد جلسة التشاور:

١ ـ التخطيط للأهداف.

٢ ـ طرح المشاكل وحلولها ضمن ضوابط المكان والزمان.

٣ ـ التقييم للتجربة التي حصلت بكل أبعادها الإيجابية والسلبية.

٤ ـ نشر روح التعاون والمشاركة والاحترام المتبادل.

٥ ـ الاقتراب من الصواب عند طرح كل الاحتمالات وبيان سلبياتها وإيجابياتها.

---

(١) سورة الشورى، الآية: ٣٨.

٦ ـ الابتعاد عن الفوضى والعشوائية في طرح المشاكل وحلِّها.

٧ ـ الإقلال عن العنف والتعسُّف ولو خجلاً من الحاضرين.

إن جلسة التحاور والمشاورة، هي من أرقى ما وصلت إليه تجربة الإنسان، والتي تبانت الأعراف والقوانين على تسميتها باللجان، كما في اللجان الرياضية، ولجان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واللجان الإنمائية. . . . .

ومن علامات النجاح داخل الأسرة، أن يكون لديها تداعٍ لجلسة التشاور، ولو عند الأمور الطارئة، والتي لها حساسية في الشأن التربوي، ويمكن الاستفادة من الجلسات العبادية كالاجتماع على صلاة الجماعة أو قراءة حديث الكساء أو جلسة تعتني بإحياء أمر أهل بيت النبوة ﷺ وغيرها. . . فتُعقد جلسة التشاور قبلها أو بعدها حول النقاط العالقة.

أليست جلست التشاور علامة القوة والمناعة؟

ألا نكبر في ذلك؟ أليس ذلك سرَّ النجاح؟.

إن البديل عن جلسة الحوار هو واحد من أمور:

١ ـ الفوضى والعشوائية.

٢ ـ استمرار المشاكل التي لا تجد لها مكاناً للحل.

٣ ـ عدم معرفة كل طرف فيما أخطأ وفيما أصاب.

٤ ـ عدم الثقة بالآخر.

٥ ـ الخاتمة السيئة بالتحاقد أو الطلاق والتدابير.

٦ ـ إمكانية انتشار المشكلة، والافتضاح أمام الداني والقاصي، وكما يُقال: (نشر الغسيل على الحبال).

ومن هنا نحاول أن نبحث عن الأمور، التي تُنجح طاولة الحوار، سواء كان الداعي لها مدير المؤسَّسة أو أحد أعضاء الأسرة أو أحد الصديقين، فمن هذه الأمور:

١ ـ التخطيط المسبق لهذه الجلسة ولو بيوم قبل انعقادها إلا في الحالات الطارئة.

٢ ـ أن يكون الحوار هادفاً، وليس من أجل الغلبة وإبداء الرأي من أجل نقض الآخر، كما حذَّر الإمام علي عليه السلام من ذلك بقوله:

«آفة المشاورة انتقاض الرأي»[1].

٣ ـ انتخاب الوقت المناسب لعقد مثل هذه الجلسة.

٤ ـ التباني على احترام الرأي المعاكس.

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٤٢.

٥ ـ أخذ الوقت الكافي في طرح القضايا وعلاجاتها، ولو احتاجت إلى عدة جلسات.

٦ ـ الأخذ بعين الاعتبار الاستفادة من أهل الاختصاص، في الشأن الذي يُحاوَر فيه.

٧ ـ تغليب اللين والمرونة في الإجابة وفي الطرح، وعدم التحسُّس من أي طرح آخر.

٨ ـ الأخذ بالرأي الأرجح والأغلب عند التعدد.

٩ ـ إيكال الأمر إلى أهل الاختصاص عند تعدد الآراء، ولا مرجِّح لأحدها، وهذا أشبه بالتقاضي، ورفع المشكلة لدى قاضي التحكيم، الذي يسلِّم لحكمه الطرفان.

١٠ ـ الجرأة في طلب العفو من جانب المقصِّر، لو كان هو أحد الجلساء كما في طاولة الحوار والمشاورة داخل الأسرة.

١١ ـ أن يبادر إلى التخطيط للجلسة أو انعقادها الأوعى، خصوصاً داخل الأسرة، لأن ضغط المشكلة قد يؤثِّر على عدم المبادرة إلى الحوار، إما لغلبة حب الانتقام أو خجلاً من الاعتراف أو لعدم الاعتياد على ذلك، وعندئذٍ لا مناص من الدعوة إلى مثل هذه الجلسة، وتهيئة ظرفها من قبل الواعي والمسيطر على أعصابه، سواء كان رجلاً أو امرأة، حتى لا يتدخل أحد من خارج الأسرة مثلاً إلى الدعوة هذه، لأن هذا له لوازمه ومنها شيوع المشكلة وكبرها.

وهنا الجرأة في الدعوة إلى جلسة الحوار، لا تخلو من وصف الكمال والوعي وحب الإصلاح والتخوف من العواقب السيئة.

إن الداعي إلى حلِّ المشكلة وبالصوت العالي هو الأرجح عقلاً، والأقوى إرادة، والمغلِّب للمصلحة العامة على المصلحة الشخصية، وهو المجاهد لنفسه الأمارة بالسوء، وهو الحذر من وساوس الشيطان، والجرأة هذه قد تقتضي التكرار في الطلب، فلا حياء ولا ملل، لأن المصلحة الكبرى للأسرة تقتضي مثل هذه التضحية.

وكما نرى الجرأةَ في افتعال المشكلة أو تطويرها، كذلك نحتاج في المقابل إلى الجرأة الواعية في إعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية.

ولا أتصور أن يُخطِّأ من يقول:

لا أريد بقاء المشكلة ـ المشكلة يجب أن تنتهي عند هذا الحدّ ـ بعد ربع ساعة لا أحد يتكلم في المشكلة ـ يا ربِّ ساعدني على إنهاء المشكلة ـ أرجو أيها الآخر أن توقف المشكلة عند هذا الحدّ ـ وإن كان خطئي فأعتذر وإن كان خطؤك فسامحك الله ـ وهكذا.

## ٨ ـ أبادرُ على الدوام بالتي هي أحسن

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾[١] ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾[٢].

من الضمانات المانعة من ردّات فعل السيئات، الدفع بالتي هي أحسن، ومواجهة الإساءة بالإحسان والتسامح، لأن العلاقات الاجتماعية مملوءة بالسلبيات، التي يمارسها الفرد والجماعة وخصوصاً إذا كانوا من أصحاب التأثير.

ومنشأ هذه السلبيات والأخطاء أحد أمور:

١ ـ أخطاء محضة من غير نية مسبقة.

٢ ـ أعمال عدوانية مبيَّتة.

٣ ـ ردات فعل انتقامية على ما صدر.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٩٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: ٣٤.

٤ ـ تصرف صحيح، فسَّره الآخر تفسيراً خاطئاً، لوضع نفسيٍّ خاص لديه.

وأكثر هذه المشاكل تكون في حالات الاحتكاك الغالب، والعشرة الأشبه بالدائمة، كما في الأسرة وأصحاب العمل المشترك وبين الأصدقاء.

ومواجهة هذه المشاكل تتصور ضمن الأمور التالية:

١ ـ بالمتابعة القانونية القضائية كحلٍّ مشكلةٍ ماليةٍ بين طرفين لدى الحاكم والقاضي.

٢ ـ بالمصالحة والتراضي وهو سيد الأحكام، وهذا يتضمن العفو والمسامحة وإسقاط الحق. . . .

٣ ـ بالسكوت وعدم إعطاء الأهمية لأخطاء قابلة أن تصدر نتيجة التسرُّع أو الانفعال الآني وغير ذلك.

٤ ـ بالدفع بالتي هي أحسن، وهذه المبادرة يكون زمامها بيد أهل المكارم وأصحاب القِيَم وذوي النفوس المهذَّبة.

والدفع بالتي هي أحسن تُتصوَّر بلحاظ المُسَاء إليه وبلحاظ نفس المسيء:

**أما بلحاظ المُسَاء إليه فالدفع بالتي هي أحسن على صور متعدِّدة:**

١ ـ بتقديم الهدية في ظرف مناسب و(الهدية تجلب المحبة) كما قال الإمام علي عليه السلام[1].

٢ ـ بالاستقبال الحَسَن وبالبشاشة و(البشاشة حبَّالة المودة) كما قال الإمام علي عليه السلام[2].

٣ ـ بالكلمة الليِّنة ولو بالتَّحية (إن بذل التَّحية من محاسن الأخلاق) كما قال الإمام علي عليه السلام[3].

٤ ـ بزيارة ضمن مجموعة من أهل الخير والصلاح فإن (صُحبة الأخيار تكسب الخير كالريح إذا مرَّت بالطيب حملت طيباً) كما قال الإمام علي عليه السلام[4].

٥ ـ بالتحمُّل وعدم إظهار التأثّر. قال الإمام علي عليه السلام: (نصف العاقل احتمال ونصفه تغافل)[5].

٦ ـ بإظهار التودُّد القلبي ولو بالتكلُّف والتصنُّع وإظهار المزاح. فإن التودُّد إلى الناس رأس العقل) كما قال الإمام علي عليه السلام[6].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٣٥.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٤.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٣٥.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٢٩.
(٥) المصدر السابق، ص ٤٢٠.
(٦) المصدر السابق، ص ٤١٣.

٧ ـ بإيصال خدمة إلى المسيء ولو صدقة أو رفع حاجة. قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «من اهتمّ بك فهو صديقك».

ـ «الصدقة تستنزل الرحمة».

ـ «سبب المحبة الإحسان»[١].

٨ ـ باستضافة المسيء على مائدة طعام لأن (السخاء يثمر الصفاء) كما الإمام علي عليه السلام[٢].

٩ ـ تكفَّل مؤنة المسيء إن كان فقيراً، والمُسَاء إليه غنياً، كما قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «إذا رُزقتَ فاوسع».

ـ «من زاده الله كرامة فحقيق به أن يزيد الناس إكراماً»[٣].

١٠ ـ إظهار التعاطف معه في الوقت المناسب، كما في زيارة تهنئة بفرح ما، أو تعزية، أو عيادة في مرض، أو نصرةٍ له إن ظُلِم. قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «من لم يَرحم لم يُرحم».

ـ «إذا رأيت مظلوماً فأعنه على الظالم».

---

(١) المصدر السابق، ص ٤١٥ ـ ٣٩٥ ـ ٣٨٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٣٧٨.
(٣) المصدر السابق، ٣٧١ ـ ٣٧٢.

ـ «وأبلغ ما تستدرّ به الرحمة أن تضمر لجميع الناس الرحمة»[1].

١١ ـ قبول اعتذاره إذا ما أراد الاعتذار، قال الإمام علي عليه السلام: «يعجبني من الرجل أن يعفوَ عمن ظلمه ويصل من قطعه ويعطي من حرمه ويقابل الإساءة بالإحسان»[2].

١٢ ـ بالعمل على تخفيف المشكلة إما بكتمانها وعدم إفشائها، وإما بالخروج من المشكلة قبل زيادة التوتر، وإما بالمواجهة الهادئة مع التلطف والابتسامة وعدم التسرُّع بالانتقام والمعاقبة. قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «أفضل الناس من كظم غيظه وحَلُم عن قدرة».

ـ «كم من غيظ تُجُرِّع مخافة ما هو أشدّ منه»[3].

ـ «قلة العفو أقبح العيوب والتسرُّع إلى الانتقام أعظم الذنوب»[4].

وقال عليه السلام: «المجالس بالأمانة وإفشاء سرِّ أخيك خيانة فاجتنب ذلك...»[5].

---

(١) المصدر السابق، ٤٤٩ ـ ٤٥٠.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٤٦.
(٣) المصدر السابق، ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧.
(٤) المصدر السابق، ص ٤٦٥.
(٥) قصار الجمل، ج١، ص ٣٠٣.

١٣ ـ بهدايته من ضلاله. كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًاۚ﴾[1].

وفي المروي عن الإمام الباقر عليه السلام: إحياء النفس بإخراجها من الضلال إلى الهدى[2].

وقال الرسول صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام:

«لئن يهدي الله بك عبداً من عباده، خير لك مما طَلَعت عليه الشمس، من مشارقها إلى مغاربها»[3].

**أما الدفع بالتي هي أحسن بلحاظ نفس المسيء فلها عدة صور:**

١ ـ المسارعة إلى التوبة وطلب العفو والصفح وذلك عند صحوة الضمير: قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «سلاح المذنب الاستغفار».

ـ «من اعتذر فقد استقال»[4].

٢ ـ تقديم هدية إلى المُساء إليه، وإدخال المسرَّة إلى قلبه، ولو بمشاركةٍ في نزهة.

٣ ـ المبادرة بالاستقبال الحسن، ونسيان ما مضى.

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٣٢.
(٢) راجع قصار الجمل، ج٢، ص ٣٣١.
(٣) المصدر السابق.
(٤) تصنيف غرر الحكم، ص ١٩٥ ـ ٤٤٧.

٤ ـ الاستدراك بالكلمة اللينة وبالمزاح.

٥ ـ إظهار التودد والمحبة، مع كتم أحاسيس انتقامه الذي صدر منه.

٦ ـ السعي في خدمته، وإيصال النفع إليه، والاهتمام بشأنه.

٧ ـ استضافته على مائدة طعام، أو إسداء الإحسان إليه، وتكفُّل مؤنته إن كان محلاً لذلك مع إمكانه.

٨ ـ التعاطف معه في فرح، أو حزن، أو عيادة مرضه، وبنصرته إن ظلم من آخر.

٩ ـ إفشاء إحسانه وصفاته الجيدة والحميدة.

١٠ ـ التخفيف من المشكلة بكتمانها أو الخروج من مكانها أو التهدئة بعد الانفعال مع ضبط الأعصاب المتوترة.

ـ التبرير لما حصل ولو كان بصورة كاذبة إن كان ذلك يهدئ من رَوْع المظلوم، كما قال الإمام الصادق عليه السلام: «المصلح ليس بكذاب»[1]. وقال الرسول صلى الله عليه وآله:

«يا علي إن الله أحب الكذب في الصلاح وأبغض الصدق في الفساد»[2].

---

(١) قصار الجمل، ج٢، ص ١٨٣.

(٢) المصدر السابق، ص ٣٩٤.

ومن هذه القاعدة ـ الدفع بالتي هي أحسن ـ يترتب عدة أمور:

١ ـ الانتباه والحذر كي لا يصدر ما هو منفر اتجاه الآخر.

٢ ـ التفاني من أجل الآخر بالتضحية والإيثار، وعدم انتظار المقابل، والحذر من منطق العلاقة التجارية: «أعطني حتى أعطيك».

٣ ـ تصنُّع الجميل، حتى يصير ملكة لديه.

٤ ـ التيقن بأن الإساءة لا تغلب الإحسان.

٥ ـ المراهنة دوماً على الرجوع، بإبقاء نافذة للحل على الأقل، وعدم الإسراع إلى بتر العلاقة من أساسها، لأنه تهوُّر سيندم عليه.

## ٩ ـ أُصلح نفسي أولاً ثم الآخر

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1].

إصلاح النفس واجب عيني على كل فرد من أفراد المجتمع، وهو مقدور وميسور لوجود الطرق لذلك، والنفس قابلة لعملية الإصلاح، فتقبل ترك ما اعتادت عليه والتخلي عنه، وفي نفس الوقت تقبل التلبس بأي خُلُق كريم والتحلِّي به.

وصلاح أنفس الأفراد هو مقدمة لصلاح المجتمع بأسره، وهو من أكبر العوامل في سلامة العيش المشترك مع الآخر.

والطرق الممكنة لإصلاح النفس عند أخذ القرار بالعلاج هي ثلاثة:

١ ـ الوقاية من الوقوع بالرذائل والمهلكات، نتيجة الثقافة الواعية والإرشاد التربوي، ومن المعلوم أنَّ «درهم الوقاية خير من قنطار علاج».

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١١.

٢ ـ الترك المباشر للرذائل المسقطة للإنسان في أوحال الحيوانية، وهذا يحتاج إلى الإرادة الواعية والقوية والعزم والحزم.

٣ ـ الترك التدريجي إذا فرض عدم إمكان الترك نتيجة الإدمان عليه، وهو حلٌ مأخوذ بعين الاعتبار لدى العقلاء والشرع المقدس.

وهناك أمور تساعد على تهذيب النفس وإصلاحها، سواء على صعيد التوقي من الأمراض النفسية أو على صعيد الإصلاح بعد الخراب أو التخفيف من شدتها، وهذه الأمور:

١ ـ التفكّر في عواقب المفاسد الخلقية والرذائل الحيوانية، وآثارها على الفرد والمجتمع، ناهيك عن أنها موجبة لسخط الله وغضبه، وحسابها الشديد بين يديه جل شأنه. وفي المقابل التفكّر بفوائد الفضائل والمكارم على الفرد والمجتمع، وفي الدنيا والآخرة، وما توجبه من رضا الله سبحانه وبركاته وألطافه.

وهذا (الفكر عبادة) كما قال الإمام علي عليه السلام[1].

٢ ـ معاشرة الصالحين، وعدم معاشرة أهل المفاسد، قال الإمام علي عليه السلام:

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٥٦.

ـ «جانبوا الأشرار وجالسوا الأخيار».

ـ «من سوء الاختيار صحبة الأشرار».

ـ «لا يأمن مجالسو الأشرار غوائل البلاء»[1].

٣ ـ تجنب الأماكن التي يحتمل أنها مفسدة، مع مراودة الأمكنة التي تصلحه.

فيتجنب أمكنة الفساد كشطوط البحار في الصيف، وأماكن الرقص والخلاعة، ومشاهد التلفزة غير الخاضعة للرقابة، ويرتاد المساجد ودُور العبادة، ومكاتب الثقافة والمنتزهات المنضبطة وهكذا . . .

قال الإمام علي عليه السلام: «صاحب الحكماء وجالس الحُلماء وأعرض عن الدنيا تسكن جنة المأوى»[2].

٤ ـ مراجعة الأطباء الروحانيين وهم محمد وآل محمد، ومن سار على دربهم من العلماء الصالحين والنجباء من الناس.

وكيف لا يأمن من استضاء بنور وصاياهم وإرشاداتهم؟! وكما قال الإمام علي عليه السلام: «أسعد الناس من عرف فضلنا، وتقرَّب إلى الله بنا، وأخلص حبنا، وعمل بما إليه ندْبنا، وانتهى

(١) المصدر السابق، ص ٤٣١.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٣٠.

عما عنه نهينا، فذاك منّا وهو في دار المُقامة معنا»[1].

وقال عليه السلام: «أين تتيهون ومن أين تؤتوْن وأنّى تؤفكون وعلام تعمهون وبينكم عترة نبيكم وهم أزمّةُ الصِّدق وألسنة الحق»[2].

٥ ـ القيام بعملية تأديب النفس، وعقوبتها، إذا ما اقترفت ذنباً، كما يؤدب الواحد منّا ولده، فيجازيها بصوم يوم كامل، أو بعدم تناول طعام شهي، أو يدفع مال إلى الفقراء، أو بحرمانها من المشاركة في نزهة وهكذا. . .

٦ ـ أخذ العبرة من الآخرين، بلحاظ سلوكهم الصحيح أو القبيح.

٧ ـ قبول النقد من الآخر[3].

ومصلح نفسه هو عنصر خير وبركة على من عاشر وخالط، وهو أولى بلقب الإنسانية، وكل الصفات الكريمة منتظرة الصدور منه، أمثال الكرم والتسامح والرحمة والحياء والعفَّة والشجاعة ونصرة المظلوم ومواجهة الظالم وشكر الله وعبادته والإعراض عن الجاهلين. . . . ونحن بحاجة في الحركة الاجتماعية الدؤوبة إلى الإكثار من هؤلاء الصالحين، لأن الإنسانية ما زالت تئنُّ من وطأة

---

(١) المصدر السابق، ص ١١٥.
(٢) المصدر السابق.
(٣) راجع تزكية النفس، ص ٢٢ ـ ١٩ بتصرف.

جهّال الآفاق، الذين أمعنوا بالإهانة لكل مقام إنساني شريف، منذ جريمة قابيل إلى يومنا هذا، خصوصاً أولئك الذين تربّعوا على عرش المجتمع الإنساني، وأورثوهم القتل والحروب والدمار.

ومن آثار إصلاح الفرد لنفسه:

١ ـ الأمان للمجتمع.

٢ ـ الإقلال من العنف والجريمة.

٣ ـ القيادة الصالحة والأفراد الناقدة.

٤ ـ إعادة الدور للفقراء والمساكين والمستضعفين.

٥ ـ إعادة العلاقات الإنسانية بدل شريعة الغاب.

٦ ـ الخروج من ردات الفعل القاسية والجاهِلَة، والعقد النفسية الخجولة، والعادات السيئة الموروثة، والاجتهادات الشخصانية الخارجة عن رقابة العقل والشرع.

٧ ـ تهيؤ الفرص للإصلاح الاجتماعي العام.

ويمكن بالأخير القول: إن صلاح المجتمع يُعرف من صلاح الأفراد. وصلاح الأفراد سبب في صلاح المجتمع.

## ١٠ ـ أعمل بجرأةٍ على إنهاء المشكلة

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ...﴾[١].

إن بقاء المشكلة لا يزيد عن المشكلة وحدوثها خطراً ومفسدةً، وتدخل في المشاكل العالقة التي تبقى على لائحة الانتظار في حلِّها.

بل إن حلَّ المشكلة أسهل على الغالب من حلِّها عندما يطوي عليها الزمن، بسبب زيادة التأويل والتعليل للمشكلة وإيجاد المبررات لما حدث، بالإضافة إلى «وضع الزيت على المِسَنّ» من قبل الناس، الذين لهم الحظ الأوفى في توسيع دائرة المشكلة وتعميقها، ويقول المثل «من كثرة الملاحين غرقت السفينة» و«من كثرة الطباخين خربت الطبخة»[٢]. وعليه لا مناص من رفع الصوت عالياً بالمطالبة بحلِّ المشكلة، سواء بالمباشرة أو من خلال الوكلاء والوسطاء. ولا مانع من تكرار الطلب وبكل الوسائل،

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.

(٢) المنجد باب الأمثال في لفظه.

وحتى لو اقتضى الأمر توسيط المقدمات، من لياقات وهدايا أو كلام ليِّن إلى غير ذلك، ما دام الهدف هو الإصلاح وما دام الخطر يدقُّ ناقوسه، وما دام الثمن قاسٍ جداً، وقد يكون منه الطلاق والاقتتال والكراهية والحقد والفرقة.

ومن هنا أكدَّ الشرع على عدة آداب لعلها تمنع المشكلة أو تقلل من خسائرها مثل:

١ ـ المسارعة إلى المصالحة التي هي من الخيرات وموجبات المغفرة. قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ... ﴿١٣٣﴾﴾[1].

٢ ـ الإقلال من العداوة والخصومة بقدر الإمكان. قال تعالى: ﴿...وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ... ﴿٤٦﴾﴾[2] وقال علي عليه السلام: «الواحد من الأعداء كثير»[3].

٣ ـ كتمان السِّرّ والعيوب والمشاكل. قال الإمام علي عليه السلام:

ـ «ليس كل عورة تظهر».

ـ «من كتم سرّه كانت الخَيَرَةُ بيده».

ـ «سرُّك أسيرك فإن أفشيته صرت أسيره»[4].

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٣) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢.
(٤) المصدر السابق، ص ٣٢٠ ـ ٣٢١.

٤ ـ خفض الصوت فإنه أستر للمشكلة.

قال تعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ...﴾[1].

ويمكن الخروج بعدة نقاط لإنهاء المشاكل:

١ ـ الجرأة في المطالبة بالإصلاح والمصالحة.

٢ ـ الشجاعة في طلب العفو والاعتذار.

٣ ـ الجرأة في تكرار طلب المسامحة لأن العيب فقط وفقط في بقاء المشكلة.

٤ ـ التنافس على الدوام في تغليب الإصلاح على العداوة.

٥ ـ بذل كل الطرق المؤدية إلى التهدئة، من ابتسامة إلى هدية إلى إغراء صالح إلى التحبُّب....

٦ ـ المحافظة على هدوء الأعصاب.

٧ ـ وضع نتائج المشكلة بالحسبان، وعلى الدوام، مثل الطلاق وتشرد الأطفال...

٨ ـ التأمّل طويلاً في حياة الأفراد الناجحين، وفي الأسر التي تنعم بالهدوء والاستقرار.

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٩.

# ١١ ـ أدعو إلى التهدئة
# لأن الانفعال السلبي سببُ كلِّ مشكلة

قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرًا جَمِيلًا﴾[١].

إن الجميل من الصبر، ما ليس فيه شائبة الجزع والشكوى، كما قاله العلامة الطباطبائي[٢].

إن التهدئة في الشخصية واسترخاءها، وأخذ الأمور بصبر وروية، من أعظم الصفات التربوية في الشخص، ومن أهم عوامل التعايش مع الآخر، لأن الانفعال السلبي هو سبب كل مشكلة، وهو الذي يحوِّل الحبَّةَ قُبَّة، ويتعامل مع كل أمر وكأن السماء توشك أن تسقط على الأرض.

إن الشدة عبارة عن استجابة الجسم عضوياً وعقلياً وعاطفياً بفعل عملية العيش.

---

(١) سورة المعارج، الآية: ٥.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج٢٠، ص ٨.

ويمكن أن تكون الشدة رائعة، ويمكن أن تكون قاتلة، والأمر يعود إلى ذات الشخص، وإن نسبة ٧٥٪ من الوفيات بمرض السرطان والقلب يرجع إلى الشدَّة والانفعال السلبي. إن للانفعال السلبي آثار تبرز على الجسد مثل صعوبة النوم وآلام في المعدة وسوء هضم... وله إشارات سلوكية مثل التسلط والميل لنقد الآخر...

وله إشارات بيئية مثل الميل إلى العزلة والتعصب والشك والريبة.... وله إشارات عاطفية مثل الملل والحدة والانفعال وسهولة الانزعاج.... وله إشارات معرفية مثل صعوبة التفكير وفقدان الإحساس بالفكاهة والنسيان....[١]

وهناك نصائح للتخلص من الشدة والانفعال السلبي:

١ ـ تجنب الإجراءات المتسرعة.

٢ ـ المسامحة بسخاء.

٣ ـ إبعاد الإحساس بالذنب ولوم النفس.

٤ ـ الإصلاح حيث أمكن.

٥ ـ التعاطف مع الآخر من غير تفريط.

٦ ـ قطع العلاقات المسمومة.

---

(١) راجع كتاب تمتع بالاسترخاء وخذ الأمور بروية.

٧ ـ رفض العيش في الماضي.

٨ ـ القيام بأعمال طوعية فيها معونة للغير.

٩ ـ الاستمتاع بالحياة كشم الزهور واللعب مع الأولاد، وعدم متابعة التلفاز، والاستمتاع بقيادة السيارة، واستعادة الذكريات، والضحك من القلب، وإقامة الحفلات، وقراءة المجلات الهزلية، وحضور الأفلام الكوميدية، وممارسة المسلِّيات...

١٠ ـ التكيُّف بما هو سائد.

١١ ـ عدم أخذ النفس بجدية شديدة وبنحو دائم.

١٢ ـ أخذ راحة أسبوعية وسنوية.

١٣ ـ اختيار عدم الإجابة على التلفون عند الانفعال.

١٤ ـ التركيز على صنع الحياة لا العيش في الحياة.

١٥ ـ التعايش مع حيوان كالطيور(١).

وإليك إضاءات من أقوال الإمام علي عليه السلام عن الغضب:

١ ـ «الغضب نار القلوب».

٢ ـ «احتجب عن الغضب بالحلم وغُضَّ عن الوهم بالفهم».

---

(١) المصدر السابق.

٣ ـ «الحِدَّة ضرب من الجنون لأن صاحبها يندم، فإن لم يندم فجنونه مستحكم».

٤ ـ «احترسوا من ثورة الغضب واعدّوا له ما تجاهدونه به من الكظم والحِلْم».

٥ ـ «من طبائع الجهّال التسرُّع إلى الغضب في كل حال».

٦ ـ «لا تسرعنّ إلى الغضب فيتسلط عليك بالعادة».

٧ ـ «الغضب يُردي صاحبه ويبدي معايبه»[1].

---

(١) تصنيف غرر الحكم ص٣٠١ ـ ٣٠٢.

# ١٢ ـ الصلح مهما أمكن
# أفضل من خسارة الفرقة

قال تعالى: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ...﴾[١].

وقال الباقر عليه السلام: «وآخر الدواء الكي»[٢].

رغم تجارب الإنسان العديدة في ترشيد الوضع الاجتماعي، ورغم كل القيم الإنسانية التي أتى بها الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، ورغم كل ما كتب في ذلك ونشر في وسائل الإعلام المكتوب والمرئي والمسموع، ورغم كل الأنشطة والتي منها محاضرات التعليم والتوعية من قبل الأخصائيين، رغم كل ذلك، لا يمكن الادّعاء بأن هناك سيطرةً على مشاكلنا الاجتماعية. وتبقى هناك مشاكل عالقة تحتاج إلى مِبضع الجرَّاح وآخر الدواء مهما تطوَّر هو الكي.

---

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٨.

(٢) قصار الجمل، ج١، ص ٢٠٩.

ومن هنا جاءت قوانين العقوبة، لأن مادة الفساد في المجتمع لا تنتهي ولا بدَّ لها من علاج، فكان العقاب ليضع الحد للتجاوزات والتعديات على الفرد وعلى المجتمع، فيعاقب الجاني من أجل حياة المجتمع بسلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾[1]، كذلك الحال بالنسبة إلى استئصال الأمراض من الجسم، فإن ذلك حياة لبقية الأعضاء، حتى لو كان العلاج بالكي المؤلم أو بتر أحد الأعضاء.

وإن من الحلول المؤلمة لبعض مشاكلنا الاجتماعية داخل الأسرة هو الطلاق، إذا ما استعصت كل وسائل الإصلاح، واستنفدت كل طرق الحلول المناسبة، عندها يكون الطلاق الذي يمثل مشكلة في نفسه، ولكنه أهون من بقاء الشِّجار الحادّ، وسوء المعشر المنطوي على الانتقام والبغض. وقد جاء في حديث الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله عزَّ وجلَّ يحبّ البيت الذي فيه العُرس، ويبغض البيت الذي فيه الطلاق وما من شيء أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ من الطلاق»[2].

نعم لا بدَّ من استنفاد كل وسائل الإصلاح حتى نتكلم في الطلاق الذي أحلَّه الله جلَّ شأنه رغم مبغوضيته.

لأن الإصلاح يدبُّ الحياة في مشهد، سيطر عليه الحقد

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧٨.

(٢) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٥٤٧.

والقطيعة، والإصلاح كالماء الذي يحوِّل المرج اليابس إلى ربيع باسم، تتمايل فيه أزهار الياسمين وشقائق النعمان، وتتناغم طيور العشق على بساطه الأخضر.

إن هذه القواعد العامة التي نعالجها في هذا الكتاب هي بعض صور الحلّ لمشاكلنا قبل الوصول إلى القطيعة والطلاق.

لا بدَّ أن تتحول ثقافة العيش المشترك بكل جوانبها ولوازمها إلى خبز يومي لنا لتُراعى بشكل مستمر.

وبين أيدينا عدة نصائح تشكل عناصر القوة للعيش المشترك حتى لا يقع الفراق والطلاق:

١ ـ التنبه للقيم الأخلاقية وبشكل مستمر، واستدامة تذكرها والتواصل مع أهل الاختصاص بها. والتي منها مفهوم الرحمة والشفقة اتجاه الآخر، وطلب ثواب الله الأكبر، والإقلال من حالة المنافرة والعدوانية والمشاجرة وتغليب المصلحة العامة، وتعويد النفس على الاعتذار، والتنازل.

٢ ـ التنبُه الدائم لمفهوم المصالحة كما ينبَّه المتخاصمين إلى وسائل الدفاع الشخصي، لأن المصالحة هي ضمان خط الرجوع بعد حدوث المشكلة، ولا بدَّ أن يؤخذ مفهوم المصالحة مادة تربوية أساسية في معترك حياتنا الاجتماعية.

٣ ـ قبول ثقافة التوكيل في المصالحة، لمن هم أهل لذلك،

من ذوي التجارب، وأهل الدين والتقوى، وأصحاب السمعة الطيبة.

٤ ـ شيوع ثقافة مبغوضية الكيِّ على رغم أنه آخر الدواء، وثقافة مبغوضية الطلاق على الرغم من أنه مشروع، لما يستلزم من آثار غير محمودة على النفس والأسرة والأولاد والمجتمع.

٥ ـ التنبه إلى أن أسباب الفراق والخلاف، مهما تحمَّس لها الطرفان، هي أسباب تافهة وعلى الغالب لا تستحق مثل هذا الخلاف، ويشهد لذلك التجارب المتمادية بين الناس، الذين إذا نظروا إلى هذه الأسباب بعد الفراق أو بعد المصالحة، لقالوا: ما أتفه هذه الأسباب، ولماذا كنا متحمِّسين لها بهذا الشكل الذي حدث؟ يا ليت كان في البين من يذكِّرنا!.

ولا ترى إلا القليل القليل ممن لم يتندَّم، رغم أن هؤلاء القلَّة لولا البدائل الأفضل التي أنستْهم المشكلة السابقة، لو نظروا بعين الوجدان والإنصاف، لرأوا أن أسباب المشكلة السابقة كانت تافهة. وقد سمعتُ كثيراً أن الطلاق الذي يجري في المحاكم، لو كان هناك من يتفرَّغ لحلٍّ مشاكله لما وصل الأمر إلى هذه الفاجعة وهي بنسبة سبعين حالة طلاق شهرياً في محاكمنا الشرعية، ما بين القاطنين والمهاجرين، كما نقل لي ذلك أحد القضاة الثقات.

وسأذكر بعض هذه الأسباب التافهة عند التأمل، والتي تُدَّعى قناعةً لا يمكن التنازل عنها والتي منها:

١ ـ الخلاف على مكان العُرس وكيفيته.

٢ ـ رأي الأهل الضاغط والحشوري.

٣ ـ الخلاف على مكان السكن.

٤ ـ الخلاف على كيفية حضور الزوج داخل الأسرة نتيجة سفر أو عمل...

٥ ـ الخلاف على كيفية المصروف الشهري للأسرة.

٦ ـ الخلاف على مسألة الإنجاب.

٧ ـ الخلاف على سوء خُلُقٍ وتصرفاتٍ غير مقبولة ومتكررة.

٨ ـ الخلاف على تعدد الزواج أو علاقات تشبه التعدُّد.

وكما ترى أن هذه الأسباب المدّعاة لا تبرِّر الطلاق لأنه بالإمكان معالجتها، إما بتقبُّل ظروف الآخر، وتقبُّل الحالة الاضطرارية، مع وعدٍ بتعديل الأمور عند التمكُّن، وإما بالاعتذار الشجاع، وإما بالصبر مع برنامج إصلاحي مقبول، وإما بتقبل الزواج الثاني، وأنه أفضل من العلاقات الخفيَّة، مع وضوح في الاعتراف بالواجبات والحقوق، بالإضافة إلى كل مفاهيم القيم الأخلاقية الداعية إلى الاقتصاد والرحمة والصبر والقناعة وطلب ثواب الله سبحانه ومراجعة ذوي الشأن بالنصيحة وهكذا...

ولا أدَّعي أن الحلَّ هو في هذه الكلمات، وإنما أدَّعي أن هذه صور من الحلول الأوَّلية، التي تدلِّل على إمكانية الحلّ، لا كما

ادَّعى طرفا الطلاق. نعم أعترف بأن كل مشكلة تحتاج إلى وقت في دراستها ومتابعتها ووضع الحلول الآنية والمستقبلية لها، وتحتاج إلى المتابع النزيه وذي التجربة. وإن كنّا مفتقرين إلى مثل هؤلاء النخبة المصلحين، إلا أن الميسور لا يسقط بالمعسور، وتبقى المسؤولية على عاتق الأهل الواعين، وعلى من يقدر على ذلك، ولو بالحدِّ الأدنى من الأقارب والوجهاء وكبار السِّن وبالأخصّ من رجال الدين الأكارم، وخصوصاً من هم في المحاكم القضائية.

# ١٣ ـ أحذر من وسوسة الشيطان على الدوام

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾[(١)].

هناك عوالم غائبة عن حواسنا، منها عالم الجِن المتسلسل من إبليس، كما نحن من النبي آدم عليه السلام.

أعطاهم الله سبحانه الإرادة والاختيار كما أعطانا، ومنهم المؤمن والكافر، إلا أن إبليسهم كافر وأبونا نبي، لهم امتياز أنهم يرونا ولا نراهم كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ...﴾[(٢)]. ولا سلطة لهم على بني آدم سوى الإيحاء والوسوسة، عبر زرع الأوهام والخيالات، كما يحكي الله سبحانه عن الشيطان ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى

(١) سورة فاطر، الآية: ٦.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ٢٧.

﴿كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1].

وأعطانا الله سبحانه سلاح مواجهتهم، بأمر بسيط للغاية هو: الاستعاذة بالله تعالى منهم، وعدم الاستجابة والطاعة لهم.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾[2] وقوة الشيطان على ابن آدم عندما يطيعه ويستجيب له. وفي المقابل إن الله مع الذين آمنوا وهو معينهم ووكيلهم ووليهم إن توكلوا وتولوا الله ورسوله والأولياء. والعقل قوة قادرة على تفنيد كل الأوهام والخيالات وإثبات بطلانها، والعقل بحاجة فقط إلى التوجه إليه، وإعطائه الدور في التفكير وتحليل الأمور.

وكل مشاكلنا نابعة من صور وهمية وخيالية على الغالب، فإن الغضبان يوهمه الشيطان ويخيِّل إليه أنه بذلك يثبت هويته وشخصانيته، وبغضه يكون أكثر إدارة وأحفظ لأمواله وممتلكاته، والسارق يخيِّل إليه أنّ السرقة بطولة وغنى، ويبرِّر له وهمه بأولوية مصالحه الخاصة على كل المصالح، وكما غيره متنعم فلماذا هو لا يكون كذلك؟!

والحاكم الظالم يخيِّل إليه أنه لو بنى ملكه على جماجم

---

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٢.
(٢) سورة الناس كاملة.

الضعفاء والمساكين لكان أبقى لملكه وسلطانه، والمرأة التي تخون زوجها يخيَّل إليها أنها بذلك أسعد. ومن يتنكر لقيم الوطنية، يخيِّل له شيطانه ويوهمه بأن خيانته تصب في مصلحة الوطن والدفاع عنه.

وهكذا في تطوير المشاكل، فإنه إذا ما حدث سوء تفاهم، فلسوف يفسِّر كل واحد حركات وكلمات ومواقف الطرف الآخر بما يناسب المشكلة، ويكفي لو شاهده يتكلم مع إنسان همساً، فسيخيِّل له الشيطان ويوسوس له بأنه يتآمر عليه ويخطط لأمرٍ ما ضده. وعلى نفس النسق تكبر الخلافات الأسرية والعائلية بسبب هذه التفسيرات الخيالية الوهمية، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ﴾[1] وعليه فالشيطان يصنَّف في الأعداء ويجب الحذر منه، عسى بذلك أن تخفّ مشاكلنا ونقدر بالاعتماد على العقل والشرع أن نسيطر عليه، ولا أقل نخرج بأقل الخسائر.

وقد جُعل الحذر من الشيطان وأعوانه أدباً تربوياً وعقائدياً في نهج الإسلام، وبين أيدينا نماذج على ذلك:

ـ قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٢) سورة يس، الآية: ٦٠.

﴿وَالْمَيْسِرِ...﴾[1] ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾[2].

ـ وفي الدعاء عن الإمام السجاد عليه السلام: «إلٰهي أشكو إليك عدواً يضلني وشيطاناً يغويني، قد ملأ بالوسواس صدري، وأحاطت هواجسه بقلبي، يعاضد لي الهوى، ويزيِّن لي حبَّ الدنيا، ويحول بيني وبين الطاعة والزُّلفىٰ، إلهي أشكو إليك قلباً قاسياً، مع الوسواس متقلِّباً، بالرين والطبع متلبساً....»[3].

وعن الإمام علي عليه السلام:

جعلوا الشيطان لأمرهم مالكاً، وجعلهم له أشراكاً، ففرَّخ في صدورهم، ودبَّ ودرج في جحورهم، فنظر بأعينهم ونطق بألسنتهم، وركب بهم الزلل وزيَّن لهم الخطل، فِعْلَ من شركه الشيطان في سلطانه، ونطق بالباطل على لسانه[4].

(١) سورة المائدة، الآية: ٩١.

(٢) سورة النمل، الآية: ٢٤.

(٣) الصحيفة السجادية ـ مناجاة الشاكين.

(٤) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٦٨.

## ١٤ ـ أراهن على ألطاف الله الخفيَّةِ مع مرور الأيّام

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾[(١)].

اللطيف من أسمائه تعالى، وهو الرفيق بعباده، يوصل إليهم ما ينتفعون به في الدارين، ويهيِّئ لهم ما ينتسبون به إلى المصالح من حيث لا يعلمون ومن حيث لا يحتسبون وفي عرف المتكلمين: اللطف ما يقرِّب من الطاعة، ويبعِّد عن المعصية، ولا حظ له في التمكين ولا يبلغ الإلجاء، لمنافاته للتكليف كالجذب من الزنا إلى مجلس العلم، وقد يكون من (فعل) الله كخلق القدرة في العبد، وإكمال العقل، ونصب الأدلة (الأنبياء والأولياء).... وخلق أعضاء البدن، وقد يكون فعل العبد نفسه كفكره ونظره فيما يجب عليه ويوصل إلى تحصيله فيجب على الله أن يعرِّفه ذلك ويوجب عليه، مثل فعل الصلاة لطف من الله عرَّفنا إياها وأوجبها علينا، ونحن نفعلها لأنفسنا.

---

(١) سورة الطلاق، الآية: ٣.

وقد يكون فعل (غير الله وغير المكلف نفسه) من المكلفين مثل الإعانة في تحصيل مصالحه ورفع مفاسده والتأسي به، في أفعاله الصالحة وإيمانه وطاعته، والانزجار عن أفعاله الفاسدة اعتباراً به.

فمساعدة الفقير لطف من الله عرَّفنا إياها وأوجبها علينا ونحن نقوم بها اتجاه الآخر.

فلطف الله قد يكون بدخالةٍ مباشرة منه جلَّ شأنه وقد يجريه على أيدي عباده بلحاظ فعل العبد لنفسه أو بلحاظ الآخر[1].

وبين أيدينا عدة كلمات للعلامة الطباطبائي في تفسيره، نأخذها منطلقاً لموضوعنا:

قال: فليس التوكل (على الله) هو قطع الإنسان أو نفيه نسبة الأمور إلى نفسه أو إلى الأسباب، بل هو نفيُهُ دعوى الاستقلال عن نفسه وعن الأسباب، وإرجاع الاستقلال والأصالة إليه تعالى، مع إبقاء أصل النسبة غير المستقلة إلى نفسه وإلى الأسباب[2].

وقال: وحقيقة الأمر أن مضي الإرادة والظفر بالمراد في نشأة المادة (الدنيا)، يحتاج إلى أسباب طبيعية وأخرى روحية، والإنسان إذا أراد الورود في أمرٍ يهمُّه، وهيَّأ من الأسباب الطبيعية ما يحتاج إليه، لم يَحُلْ بينه وبين ما يبتغيه إلا امتلاك الأسباب

---

(١) مجمع البحرين، ج٥، ص ١١٩. ـ بتصرف ـ.
(٢) الميزان في تفسير القرآن، ج١١، ص ٢١٧.

الروحية، كوهن الإرادة والخوف والحزن والطيش والشره والسَّفَه وسوء الظن، وغير ذلك، وهي أمور هامة عامة، وإذا توكّل على الله سبحانه، وفيه اتصال بسبب غير مغلوب البتة، وهو السبب فوق كل سبب، قويت إرادته قوة لا يغلبها شيء من الأسباب الروحية المضادة المنافية فكان نيلاً وسعادة[١].

وقال: إن ولاية الربوبية (ملك التدبير للأمور) تتعلق بنظام التكوين بتدبير الأمور وتنظيم الأسباب والمسببات، بحيث يتعين بها للمخلوق المدبَّر ـ كإنسان مثلاً ـ ما قدر له من الوجود والبقاء، وتتعلق (ولاية الله الربوبية) بنظام التشريع، وهو تدبير أعمال الإنسان بجعل قوانين وأحكام يراعيها الإنسان بتطبيق أعماله عليها في مسير حياته، لتنتهي به إلى كماله وسعادته. ولازم اتخاذه تعالى رباً ووليًاً من جهة التكوين، إرجاع أمر التدبير إليه بالانقطاع عن الأسباب الظاهرية، والركون إليه من حيث إنه سبب غير مغلوب ينتهي إليه كل سبب، وهذا هو التوكيل، ومن جهة التشريع الرجوع إلى حكمه في كل واقعة... وهذا هو الإنابة[٢].

فالله هو ربُّ العالمين، وربوبيته تعني أنه هو المنظِّم للأسباب والمسببات، سواء كانت مادية أو روحية، وتنسب إليه بنحو الاستقلال والأصالة وتنسب إلى غيره بنحو غير مستقل وبالتبع.

---

(١) المصدر السابق، ج٤، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ج١٨، ص ٢٥.

وهو السبب الذي لا يُغلب ولا يضعف ولا يفتقر، وهو الذي يحول بين الأسباب ومسبباتها إن شاء وبيده الأسباب غير الظاهرة لنا، وقد يُطلع أولياءه عليها والمسماة بالمعجزة، وهو جلّ شأنه وعد الذين آمنوا واتقوا وأطاعوه بما أراد وتوكلوا عليه أن يكفيهم وأن ينصرهم على عدوهم وأن يدافع عنهم وأن يهديهم وأن يتولى أمرهم وأن يرزقهم وأن يغفر لهم إن تابوا وأن يكون وكيلاً عنهم بتدبير أمورهم، وأن يستجيب دعاءهم، يفعل ما يشاء ويمسك ما يشاء وإليه يرجع الأمر كله، ولا يفعل إلا بما يناسب الرحمة التي كتبها على نفسه، والحكمة التي من أجلها خلق الخلق، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وقد أحاط بكل شيء علماً، وهو على كل شيء قدير.

وبين أيدينا نصوص قرآنية تفيد هذه المعاني:

قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[1].

﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[2].

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾[3].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾[4].

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٠٣.

(٣) سورة محمد، الآية: ٥.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨١.

﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[1].

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾[2].

﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ...﴾[3].

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ﴾[4].

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[5].

﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا﴾[6].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ﴾[7].

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾[8].

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[9].

﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ﴾[10].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣١.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢٥.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٢٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٧١.
(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٧.
(٦) سورة النساء، الآية: ٤٥.
(٧) سورة الحج، الآية: ٣٨.
(٨) سورة غافر، الآية: ٦٠.
(٩) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.
(١٠) سورة الطلاق، الآيتان: ٢، ٣.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ وَتَرۡزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢٧﴾﴾[١].

فمن هذه الآيات المباركات نؤمن بقاعدة هي أن ألطاف الله الخفية قائمة بعرض هذه الأسباب والمسببات الظاهرية، إلا أن مجراها مشروط بتقوى الله والتوكل عليه، وعندها يفعل الله ما يشاء من الرحمة واللطف بعباده.

ومن هنا جاءت ثقافة الدعاء، في طلب التدخل الإلهي في كل أمر مهما صَغُرَ وقلَّ، كما ورد عن رسول الله ﷺ بنقل البحار: «ليسأل أحدُكم ربَّه حاجته كلها حتى يسأله شِسع نعله إذا انقطع» وأورد البحار أيضاً: «يا موسى سلني كل ما تحتاج إليه حتى علف شاتك وملح عجينك»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾[٣] ومن هنا نؤمن مراهنين على لطف الله الخفي، في تسديد الأمور ما دامت النوايا مخلصة فندعو ونوكل الأمر إلى الله، ونتوجه إلى الله وندع الأمور بين يدي مشيئته، ونعقل الدابة

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) ميزان الحكمة، ج٣، ص ٢٥١.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٥.

ونربطها في الشجرة ونوكل أمرها إلى الله في حفظها، ونرمي بصنّارة الصيد إلى الماء ونوكل الأمر إلى المولى العزيز الرزاق، ونشرب الدواء والشفاء نوكله إلى الشافي جلَّ شأنه، ونحمل السلاح بوجه الأعداء والنصر يصنعه الذي لا يخذل عباده المخلصين.

ونَرقي أولادنا من صيبة العين ونتحصَّن بالحجب والأحراز والتي هي من مصاديق الدعاء وننتظر لطف الله الخفي، ونتصدق ونصل أرحامنا ونرجئ دفع البلاء وزيادة الأعمار إلى لطف الله سبحانه، وعندها يجعل الله المخرج لعبده ولو كان معلَّقاً على أعواد المشانق، أو كان في فم التنين، أو كان في بطن الحوت، أو قذف به في الريح الهوجاء والأمواج العاتية، أو الصحارى ذات الرمال المتحركة، أو كان وسط النار التي أُضرمت لإبراهيم، أو كان في كربلاء الحسين عليه السلام أو في سبي زينب عليها السلام أو كان في سجن هارون، أو هُجرٌ من دياره على وجهه في ظلام الصحراء، أو كان في غار حرّاء محمد، أو كان كإسماعيل تحت سكين إبراهيم.

ومن مظاهر اللطف الخفي أنه يستخرج أبداننا بعد تفرُّق أجزائه من بطون الديدان وجذوع الأشجار وفتات التراب ويعيد إليه الروح الباقية كي تتنعَّم بالثواب الأبدي الجنة إن كنا مؤمنين ولذلك خلقنا.

ومن مظاهر اللطف الإلهي رعايةُ الله سبحانه وحفظُهُ لمولانا صاحب العصر والزمان (عج) على رغم امتداد زمان غيبته، من أجل إقامة دولة العدل في آخر زمان الإنسانية. ومن مظاهر اللطف الإلهي الخفي رعاية محمد وآله ﷺ وبالأخص صاحب الزمان (عج) لمصالحنا بإذن الله من موقعهم الذي يرونا ولا نراهم فيه.

ومن مظاهر اللطف الخفي لله دعوة المؤمن لأخيه فيبارك الله بكلمات دعائه، وبخر فمه، ومسحة يده، وسؤر طعامه، كما يبارك الله بامتداد ناظر الأم إلى ولدها، وخفقان قلبها له، وكما هو الحال في دعوة الملهوف والفاقد والواقع تحت وطأة الحاجة والشدَّة وهو مغرورق الدموع.

ومن مظاهر اللطف الإلهي إعادة اللحمة بين شرائح المجتمع بعد التمزُّق وعودة الهدوء إلى الأسرة بعد التشتت ورفعُ الأحقاد بعد إضرام نارها وهداية الضالّ بعد ضياع سنين.

وما المانع أن يبارك الله بالمأكول بعد ذكر اسم الله وبعد الحمد، وأن يشفي الله المريض ببركة الصدقة أو التوبة أو صلة الرحم وبر الوالدين، وأن يقضي الله الحاجات، ويصوِّب الأهداف بَطرْق أبواب الرحمة الإلهية محمد وآل محمد ﷺ، وأن يوفِّق الله للخِيرة عند الحِيْرَة.

وما المانع أن يسخِّر الله بلطفه الرياحَ في إعماء عيون الأعداء

أو في تحطيم سفنهم وطائراتهم أو أن يسخر كلباً في فضح مكان مؤامرة الأعداء أو يسخر طيراً ليغري مقاتلاً في اللحوق به حتى لا يقع في متناول نار دبابة العدو، أو يسخِّر الصاعقة في إعطاء الطاقة لانطلاقة الدفعة الصاروخية الموجَّهة، أو يسخِّر الموقف الأحمق للعدو في كسر عنفوانه، أو يسخِّر بعوضةً لإيقاظ عبدٍ لصلاة الليل أو يسخِّر بلاءً يكون مردوده هداية المبتلى من ضلاله المفضي إلى عذاب جهنم، ورُبَّ ضارَّة نافعة.

وما المانع من جعل الفوائد الجمَّة من دفع الناس بعضهم ببعض كما كانت المصلحة للفقراء في خرق سفينتهم بيد النبي الخضر، وكانت المصلحة للأبوين في موت ولدهم، وكانت المصلحة لدولة الإسلام في صراع الدولتين الكبيرتين الفارسية والرومانية. والمصلحة كل المصلحة لدولة العدالة في زمن الإمام المهدي (عج) المرتهن والمتوقفة على مرور الأيام والأعوام، وكم تختفي ألطاف الله في مرور الأيام!.

# ١٥ ـ أتحلَّى دوماً بصفة المربِّي

قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾[(١)].

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[(٢)].

إن أسمى صفات المربي، هو أنه التفت إلى نفسه ورباها التربية الصالحة وهذَّبها على المكرمات، وأخذ بيده نحو الفضيلة، ومن كان كذلك فهو أولى بصفة المربي لغيره، ولذا آمِرَ الرسول ﷺ وكافة المؤمنين بالاستقامة وعدم الطغيان، كي يكونوا القدوة، ولكي يتحولوا إلى دعاةٍ إلى الله بغير ألسنتهم، كما قال الإمام العسكري عليه السلام:

«اتقوا الله وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، جرُّوا إلينا كل مودة، وادفعوا عنا كل قبح»[(٣)].

---

(١) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.

(٣) ميزان الحكمة، ج٥، ص ٢٤١.

وقال الباقر عليه السلام: «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا المتحابّون في مودتنا المتزاورون في إحياء أمرنا الذين إن غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا سلم لمن خالطوا»[1]. وأن المربي هو الذي على الغالب ناقد لذاته، ذو حسٍّ مرهف، لا يُتصور في حقه أن تصدر منه التصرفات غير المسؤولة والأعمال غير المرضية والأفعال الصبيانية، بل هو الذي انتظمت شخصيته وكانت محطّاً للأنظار ومحلاً للإكبار وموضعاً للاقتداء به[2].

ومن تحلّى بهذه الصفة هو الأنموذج سواء كان رجلاً أو امرأة وسواء كانت تجربته داخل الأسرة أم في التعاطي العام أم في المؤسسة الخاصة ناهيك ما لو كان في المناصب العامة، وبهذه الصفة امتازت شخصية الذين دخلوا التاريخ من بوابة الفضيلة والكرامة والقِيَم.

ومن فوائد التحلِّي بصفة المربي:

١ ـ الترفُّع عن الغوص في الجزئيات إلا من باب المتابعة الهادئة.

٢ ـ الأولوية للأمور العامة والتي تعتني بالشأن العام.

٣ ـ الإقلال من المشاكل نتيجة قوة الاستيعاب.

---

(١) المصدر السابق، ص ٢٣٣.

(٢) راجع الخطوط العامة لبنية الفرد الاجتماعية، ص ٤٣.

٤ ـ غلبة نظرة الرحمة على ذوي الأخطاء كنظرة الطبيب إلى مريضه.

٥ ـ النجاح في الأبعاد التربوية للناشئة وإعداد الجيل الواعي للمستقبل.

٦ ـ النجاح الأغلب في كل الأبعاد الاجتماعية ومنها الحياة الزوجية، والصداقة، وفي المعاملات وقيادة الأمة.

٧ ـ السيطرة القصوى على القوة الغضبية والتمتع الغالب بالهدوء.

وفي المحصَّل إن المربي يمتاز بالجانب الخلقي في سلوكه بالإضافة إلى تخصصه كمعلِّم الرياضيات أو مدرب عسكري أو طبيب للصحة أو فقيه متشرع أو قائد سياسي، فهؤلاء الاختصاصيون مثلاً يطلق عليهم اسم «المربي» إذا ما أجادوا فنّ السلوك الأخلاقي في أنفسهم ومع الآخر، وذوَّبوا الأنانية في المصلحة العامة، وعندئذٍ يتحولون إلى القدوة والمثل الأعلى للآخر، في حين أنهم يمارسون وظائفهم الخاصة.

# ١٦ ـ أُحاول أن لا أعيشَ الفراغ المُمِلّ والبطالة

قال الإمام علي عليه السلام: «للمؤمن ثلاث ساعات فساعة يناجي فيها ربه وساعة يرمّ معاشه وساعة يخلّي بين نفسه وبين لذتها»[١].

الحياة ذات قيمة لدى العقلاء، ولا بدَّ من استثمار الزمن ضمن الفرص المتاحة، ولا يصح بحال تضييع العمر في التوافه، من دون نظر إلى الهدف من خلقتنا، وإلى ما يراد منّا، وحتى لا نقضي هذه الدنيا كحياة تكرارية كما عليه أيُّ حيوان آخر، إن العقلاء يأبون ذلك وقد توقفوا بحذر عند أمور هي مضيعة للوقت أو ظرفاً لتضييعه وقد عُدَّ منها:

١ ـ الزوّار.

٢ ـ التلفون.

---

(١) نهج البلاغة، ج٤، حكمة رقم ٣٨٩.

٣ ـ التجمع للثرثرة.

٤ ـ الرغبة الزائدة في المثالية.

٥ ـ حب الجدل والمناقشة.

٦ ـ فقدان الرغبة والملل.

٧ ـ الفوضى.

٨ ـ المشكلات المفاجئة[١].

والشارع المقدَّس قد حثّنا على الاستفادة من الزمن بالقدر الممكن من أجل تحمُّل المسؤولية التي ألقيت على عواتقنا كبشر في مسيرة الحياة الإنسانية.

قال الرسول ﷺ في وصيته للإمام علي عليه السلام:

يا علي بادر بأربع قبل أربع:

بشبابك قبل هرمك

وصحتك قبل سُقمك

وغناك قبل فقرك

وحياتك قبل موتك[٢].

إن تحمُّل مسؤولية الحياة يفتضي الكشف عن سواعد الهمم من أجل بناء الحياة السعيدة المرضيَّة لدى الله في الدنيا، والتي

(١) راجع الوقت هو الحياة، ص ١٠١.

(٢) الخصال، ص٢٣٩، طبعة دار التعارف.

تمهِّد لحياة الأبد في رضوان ورحمة الله تعالى في الجنة، ومن هنا كان الحثّ على العمل واغتنام فرصة الشباب والصحة والغنى والحياة، إلا أن هذا لا يلغي وجود أمور أخرى يتوجه إليها طبع الإنسان ويعمل على تحقيقها كإشباع الرغبات وغيرها والتي تتطلَّب عملية تنظيم للوقت كما في الحديث الشريف في صدر بحثنا هذا، حيث قسَّم الإمام علي عليه السلام العمر إلى ثلاث ساعات ساعة للواجب علينا من القيام بالطاعة لله سبحانه، وساعة لإصلاح أمر الحياة والعيش، وساعة للذةٍ بحلال، والتي منها جلسة المسامرة أو نزهة مع الطبيعة أو ممارسة الرياضة... وكل البركة على الإنسان في الدنيا والآخرة ناتج عن استثمار الوقت، وسدِّ أبواب الفراغ الممل والبطالة المصطنعة.

ومن سلبيات البطالة أو الفراغ المملّ ما يلي:

١ ـ التدخل فيما لا يعينه والفضولية.

٢ ـ إزعاج الآخر عندما يزوره في وقت عمله.

٣ ـ فتح المجال لعلاقات كان بالغنى عنها إذا لم تكن مريبة.

٤ ـ تقبَّل أي بديل يملأ فراغه به، ولو كان انحرافياً ومنافياً للقيم والدين.

٥ ـ غلبة التنظير والنقد للنقد فقط مما يربك أصحاب المشاريع.

٦ ـ تفويت الفُرَص الكثيرة من الأعمال التي يقدر عليها، إلا أنه تركها بحجة الملل والكسل، كمن يجلس متكاسلاً على شرفة منزله وبإمكانه القيام ولو بإصلاح الزهور أو مطالعة أي كتاب أو مجلة...

وسبب البطالة أو الإحساس بالفراغ يعود إلى أمور:

١ ـ عدم وجود فرص العمل، وهذا ملقى على عاتق الدولة وأصحاب المسؤولية.

٢ ـ الميل إلى الكسل وإلى عدم تحمُّل المسؤولية كمرض نفسي فيعيش الاتكالية.

٣ ـ الصورة الخاطئة عن مفهوم الراحة والسعادة، فيظن أن تحمُّل مشقَّات العمل تسبب تقرحات في اليدين أو تسبب أوجاعاً في الظهر، أو أن كثرة العمل تقصِّر في العمر أو أن الإقلال من العمل سبب للراحة والسعادة...

٤ ـ الصورة الخاطئة عن مفهوم تحمل المسؤولية كالذي يعيش ليومه وعليه المستحقات المدرسية والطبية لأولاده فلا يخطط لها ولا يعمل مع قدرته من أجلها. أو كالدولة الغنية بنفطها التي اكتفت بترفيه شعبها وتكاسلت عن التخطيط للاستثمارات العلمية والتخصص العلمي...

٥ ـ سوء التربية لأنه علَّمه أكل السمك ولم يعلمه صيد السمك

وهذا يشمل كل برنامج تربوي قاصر في الأسرة أو في الدولة. . .

أما العلاج لحالة الفراغ أو البطالة تكون ضمن نقاط:

١ ـ إيجاد فرص العمل من قبل الجهات المعنية.

٢ ـ الأداء التربوي الصالح في تحميل المسؤولية، فنطعمه السمك ونعلمه كيفية صيده.

٣ ـ سياسة الاكتفاء الذاتي ونبذ حالة الاتكالية.

٤ ـ تعميق الثقافة في أبعاد الحياة وصناعة السعادة وإن السعادة لا يستحصل عليها إلا ببذل الجهد وتحمُّل المشقات، كما قال علي عليه السلام: «لن تُعرف حلاوة السعادة حتى تُذاق مرارة النَّحس»[1].

٥ ـ معالجة «الكآبة وعدم تحمل المسؤولية»، وأصبح لذلك معاهدة خاصة في بلاد الخارج.

٦ ـ طرح البدائل مباشرة كالمتشغل بالكتاب أو الكتابة أو الخياطة والحياكة، أو العمل بالأرض والحديقة والأشجار أو إقامة الرحلات أو إقامة جلسات مفيدة أو جلسة تأمّلٍ وتفكُّرٍ في خالق العالم ربِّ العالمين وفي عظيم صنعه الذي حيَّر العقول كما قال الإمام علي عليه السلام: «التفكر في ملكوت السماوات والأرض عبادة المخلصين»[2]

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ١٦٧.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٦.

**الخاتمة بوصايا عند تنفيذ خطة العمل:**

١ ـ الابتداء بالعمل الصعب وغير المحبوب، ومهما كان العمل صعباً فبمجرد الابتداء به فإنه سوف ينتهي.

٢ ـ عدم الانزعاج عند مجابهة المهمات الكبيرة، وتجزئة المشكلة الكبيرة يسهِّل في انجازها.

٣ ـ عدم قطع العمل والانتقال إلى غيره، مع الحذر من التسويف.

٤ ـ قول كلمة «لا» عند وجود المزاحم للعمل.

٥ ـ لا خوف من الخطأ فكل الناس يخطئون.

٦ ـ الجرأة في اتخاذ القرار بالعمل بعد التفكير والتروي.

٧ ـ جعل المكافأة عند انتهاء العمل مثل رحلة أو وجبة طعام.

٨ ـ التعامل بحذر مع مضيِّعات الوقت مثل: زوار ـ تلفون ـ جدل ـ فوضى ـ ملل...[١].

---

(١) راجع الوقت هو الحياة ص ١٠٠.

# ١٧ ـ أَقنعُ بالموجود ولا أتحسَّرُ على مفقود

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١].

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ فقال: هي القناعة[٢]. إن الحياة الطيبة هي الحياة الواقعية التي تنطلق من القناعة بالموجود والرضا بالمقسوم والتحرك في العيش على قدر مساحة البساط الذي نمتلكه، (وعلى قدر بساطك مُدَّ رجليك) من غير الاشتغال بما يملكه الآخر، والذي هو همّ مجانيّ تضطرب فيه النفس، وهذا الرضا يقبله العقل ويدعو إليه الشرع. كما قال الصادق عليه السلام: «اقنع بما قسم الله لك ولا تنظر إلى ما عند غيرك، ولا تتمنّ ما لستَ نائله، فإنه من قنع

(١) سورة النحل، الآية: ٩٧.
(٢) نهج البلاغة، حكمة ٢٣١.

شبع ومن لم يقنع لم يشبع، وخذ حظك من آخرتك»[1].

إن القناعة هي سبب للعيش الهنيء، ولراحة القلب، والقَنوع هو الراضي بمقدَّراته ليتعايش معها، ولا ينظر إلى من فوقه، حتى لا تنشغل نفسه بالطمع والحسد وذلّ الحاجة إلى الغير، بل ينظر إلى من دونه ليرى نفسه في نعمة كبرى من الله تعالى، فيعيش عزيزاً وغنياً في نفسه، حامداً لله على ما أنعم، وإن كان لديه طمع ففي مكارم الأخلاق والفضيلة وفيما يزيد من ثوابه في تعمير آخرته، ولا يمنع من أن يكون لديه طموح في تطوير حياته الدنيوية ضمن المشروع والمعقول، ويبذل جهده في ذلك، فإن جاءت الدنيا حَمَد الله وأثنى عليه تعالى، وإن لم تأتِ اكتفى راضياً بما قسم الله له، وإذا رأى نعمة الله على غيره سُرَّ لذلك وطلب من الله أن يبارك له فيما آتاه. هذا ومن لم يقنع سيكون ساخطاً على الخالق وعلى المخلوق، ويعيش الحرمان في ذاته واضطراب الشخصية.

فالمرأة التي لا تقنع بما لدى زوجها من مقدَّرات، وتبقى عيونها شاخصة إلى ما عند الجيران من كمالات، سوف تعيش الهمّ والغمّ والتحسُّر، وتُقلِق حياتها الأسرية بصدامات مع زوجها، بينما لو كانت لديها القناعة بالموجود فلسوف تعيش النعمة التي بين يديها، وسوف تُضفي على أسرتها حالة من الاستقرار والطمأنينة.

---

(١) فروع الكافي، ج٨، ص ٢٤٣.

وكذلك الرجل الذي لم يقنع بما رزقه الله تعالى ويعيش همَّ الطمع وعدم الشبع، ولا يرضى بالمقسوم له، فلسوف لا يحسُّ بالنعمة التي بين يديه ولا يكون شاكراً لربه، هذا إذا لم يقع أسير سوء الظن بالله تعالى، إذا ما بقي يتساءل: لماذا يا رب رزقت فلاناً ولم ترزقني وأين عدلك في ذلك؟!

وهكذا حال من لا يقنع في حدود وظيفته داخل الإدارة فإنه سوف يكون أقلَّ فعالية في وظيفته أداءً وإبداعاً. نعم المحاولة في تحصيل الأرزاق والتطور في الأوضاع لا مانع منه كمن يستأجر سيارة لتشغيلها طلباً للتوسعة على العيال زيادة على مورد رزقه الأساسي، إن هذه المحاولة نزيهة ومطلوبة، وضمن حدود الواقع والمتوقع.

ومن فوائد الرضا بالموجود:

١ ـ الإحساس بالهناء والسعادة والاستقرار والغنى وجمال العيش.

٢ ـ الشكر لله على ما أنعم والرضا بما قَسَم.

٣ ـ عزة النفس وعدم الحاجة إلى إذلال نفسه.

٤ ـ الراحة من الحسد والهمّ والغمّ.

٥ ـ الاستعداد لمفاجآت الدهر.

٦ ـ قلَّة المشاكل مع من يتعايش معه.

٧ ـ الإبداع في وظيفته.

٨ ـ تبادل الثقة مع من رضِيَ بالعيش معه.

٩ ـ القناعة تعين صاحبها على إصلاح نفسه وعلى الورع في الدين.

في حين أن الطمع له آثاره السلبية كما ذكرها الإمام علي عليه السلام والتي منها:

١ ـ «الطمع أول الشر»[١].

٢ ـ «نعم عون الأمل الطمع»[٢].

٣ ـ «نكد الدين الطمع وصلاحهُ الورع»[٣].

٤ ـ «كثرة الطمع عنوان قلة الورع»[٤].

٥ ـ «المطامع تذل الرجال»[٥].

٦ ـ «ثمرة الطمع ذل الدنيا والآخرة»[٦].

٧ ـ «كل طامع أسير»[٧].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٢٩٧.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.
(٦) المصدر السابق، ص٢٩٨.
(٧) المصدر السابق.

٨ ـ «الطمع محنة»[١].

٩ ـ «الطمع فقر»[٢].

١٠ ـ «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[٣].

١١ ـ «لا تطمع في كل ما تسمع فكفى بذلك حمقاً»[٤].

ويبقى الحلّ للطمع بالرجوع إلى قِيَم الذات الإنسانية، مع ملاحظة التوازن بين الأضرار المترتبة عليه والفوائد الجمَّة المترتبة على القناعة والرضا بالمقسوم، في حين أنه لا يوجد فردان متساويان في كل شيء ولذلك كانت الناس على درجات وعندها يعلم الإنسان أن «القناعة نِعمة» وأن «العبد حرٌّ ما قنع» وأن «الحرُّ عبد ما طمع». كما عن الإمام علي عليه السلام[٥].

---

(١) المصدر السابق.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.
(٤) المصدر السابق.
(٥) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٩٠ ـ ٣٩١.

## ١٨ ـ لا أُحوِّلُ بيتي إلى حَلَبة صراع

قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[١]

قال العلامة الطباطبائي في تفسيره لهذه الآية: «لأنهم إذا تفكروا في الأصول التكوينية التي تبعث الإنسان إلى عقد المجتمع من الذكورة والأنوثة الداعيتين إلى الاجتماع المنزلي، والمودة والرحمة الباعثتين على الاجتماع المدني ثم ما يترتب على هذا الاجتماع من بقاء النوع واستكمال الإنسان في حياتية الدنيا والأخرى، عثروا من عجائب الآيات الإلهية في تدبير أمر هذا النوع على ما يبهر به عقولهم وتدهش به أحلامهم»[٢].

إن السكون هو الانقطاع عن الحركة وهو الاستقرار، وجعل الله جلّ شأنه في حكمته المودة والرحمة كأساس للاجتماع، سواء

---

(١) سورة الروم، الآية: ٢١.

(٢) الميزان، ج١٦، ص ١٦٧.

في البيت الزوجي الذي يتوفر فيه عامل آخر للاجتماع وهو حاجة كلٍّ من الذكر والأنثى إلى الآخر، وسواء في الاجتماع المدني في المؤسسة والمدينة والدولة. لأن المودة والرحمة هما اللتان تشرِّكان بين أفراد المجتمع فكما الزوجان يتلازمان بالمودة والرحمة فيرحمان صغارهما، لما فيهم من الضعف والعجز والحاجة إلى رفع الحوائج الحيوية، ويقومان بواجب العمل في الحفظ والحراسة والتغذية والكِسوة والإيواء والتربية، فكذلك الحال في المجتمع الكبير المدني، إذْ الواحد منهم يأنس بغيره فيرحم المساكين والضعفاء ويقوم بواجب ما تستدعيه المودة والرحمة من التأمين والحماية والتضحية والتربية. . . .[1].

وعندئذٍ لا مناص من السعي وبكل جَهْد إلى التهدئة والاستقرار داخل البيت الزوجي الصغير، وحتى يكون هو السكن الخالي من الاضطراب والقلق، الناتجين عن المشاكسات والخلافات وحب السيطرة وكسر المقابل وغيرها من الحالات التي ينبذها العقل وكل العقلاء ونادى الشرع عالياً بخلافها، حتى لو لم يكن صدورها عن سابق تخطيط وإصرار، بل كان عن انفعال آنيّ، نتيجة المشاكل الطارئة والتي قد يكون سببها تافهاً، إلا أن الجهل بالآخر ووظيفته، وعدم الالتزام بالحدود الشخصية، وقلَّة الثقافة بالحياة، قد تحوِّله إلى قضيَّة وتحوِّل الحبَّة قُبَّة والبيت

---

(١) المصدر السابق ـ بتصرف، ص ١٦٦.

الساكن والمستقر إلى حلبة الصراع، التي لم تتكوّن للتهدئة والاستقرار، بل جوهرها الاقتتال والسيطرة والغلبة، والعجب إن هذا حاصل وعلى نحو الكثرة، ولو من حين إلى آخر مع جزم المتأمِّل، بأنها من تسويلات الشيطان والنفس الأمارة بالسوء، ولا تخصُّ العقل والشرع لا من قريب ولا من بعيد. وأيُّ عاقل يرضى أن يتحول فراش راحته إلى مكان للأَوْبئة والحَشَرات الضارَّة، أو يتحول بيته الذي يأوي إليه بعد عناء نهاره إلى مكانٍ للضجيج والاعتراك والاضطراب، وقد قال الإمام علي عليه السلام: «الخُلْف مثار الحروب» و «كثرة الخلاف شقاق»[1] وهذا نفسه نقوله في المجتمع المدني الكبير سواء كان مؤسسةً أو مدينةً أو دولةً، والذي تتقاسم فيه مصالح كل الأفراد، وأيُّ انتكاسة فيه تنعكس على الجميع بالويل والثبور.

كما قال الإمام علي عليه السلام: «رفاهية العيش في الأمن» و«أُنسُ الأمْن تذهبه وحشة الوحدة، وأنسُ الجماعة ينكِّدُهُ وحشةُ الخوف» و«شر الأوطان ما لم يأمن فيه القطَّان»[2].

وقال عليه السلام: «من نكد الدنيا تنغيص الاجتماع بالفرقة والسرور بالغُصَّة»[3].

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٦٦.
(٢) تصنيف غرر الحكم، ص ٤٤٧.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٦٦.

إن المجتمع المدني يمثل العائلة الكبرى، فيلزم أن يكون الأصلُ فيها الاستقرار والطمأنينة ويكون ذلك بعهدة الجميع، لأن الأسرة الصغيرة لا يتحمل مسؤوليتها إلا الأبوان وأما المجتمع المدني فالكل راعٍ والكل مسؤول وموظف وله حقوق وعليه واجبات كما قال الإمام علي عليه السلام:

«اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشرّ فأعرضوا عنه»[1].

فكل فرد ينبغي أن يساهم في إرساء الاستقرار في مجتمعه، وأهم دور يقوم به هو ردع نفسه عن القيام بأي ضرر يوجهه إلى الآخر، وأن يضع نصّب عينيه المصالح العامة ويقدمها ويرضى بها، حتى لو كانت على حساب مصلحته الشخصية، وإن عامِل الإيمان دور مهم جداً في تجسيد صلاح الفرد في دائرة المجتمع المدني، لأنه لا يوجد دافعٌ أكبر ـ للحفاظ على المصالح العامة وعدم صدور الأعمال الشريرة من قبل الفرد ـ عن الذي يدعو إليه الإسلام وهو خوف الله وإطاعته وطلب الثواب في الجنة والحذر من العقاب في النار. إن هذين الدافعين يضمنان عدم صدور المخالفة القانونية حتى لو كان الفرد في الغُرَف المظلمة، وبعيداً عن رقابة الأجهزة الأمنية.

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٦٧.

وللأسف إن الإنسان الذي يدَّعي الحضارة لم يصل إلى هذا البعد الديني الحضاري بل ينظر إلى الدين وأهله بنظرة عدوانية ويعمل على إطفاء جذوته ليلاً ونهاراً.

نعم قد يكون من أسباب شيوع المخالفة للدين هو سوء التصرف الذي يصدر عن المنتمين إلى الديانات السماوية، مما ينفِّر المراقبَ من بعيد بسبب هذه الانحرافات الخلقية والأعمال الرذيلة، والتي يندهش لها العقل فضلاً عن الشرع، كما قال الإمام علي عليه السلام: «لا يُفلح من تبجَّح بالرذائل» و«لا مرحباً بوجوه لا تُرى إلا عند كل سوء»[1]، وكأن أصحابها لم ينتموا إلى دين قط أو أن الذين لم ينتموا إلى الديانات الإلهية يتنزهون عنها، ومن هذه الرذائل تعاطي المخدرات والتجارة بالبشر والسرقات الكبرى وسياسة الجور والظلم وكبح الحريات من قبل الحاكمين والمسيطرين.

---

(١) تصنيف غرر الحكم، ص ٣٢٣.

# ١٩ ـ أَعِيشُ دوماً الرحيل باتجاه لقاء الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

إن الرحيل من الدنيا من المحتوم، باتجاه لقاء الله، والحساب بين يديه، وحياة الأبد في جنة الصالحين أو في نار أهل السوء.

وعالم الآخرة هو عالم البقاء، والرحمة الواسعة التي تتناسب مع كرم الله تعالى، وما في هذه الدنيا هو للامتحان والاختبار وهو محدود وباتجاه الزوال والانتهاء.

إننا نتهيأ تكويناً للخروج من الدنيا إلى عالم الآخرة كما يتهيأ الجنين للخروج من رحم أمّه إلى هذه الدنيا.

ولا آخرة من دون دنيا، والآخرة هي نارٍ وجنة وهما نار أعمالنا وعقائدنا أو جنّتهما وهكذا أجرى الله سبحانه الأمور على قاعدة الأسباب والمسببات، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢٣.

﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[1] ولا بدَّ من بيان عدة نقاط:

١ ـ إن الهدف من خلق الإنسان الذي سخر له هذا العالم الأكبر، هو الوصول إلى كماله الروحي في هذه الدنيا حيث إن الروح تقوى وتتكامل ضمن ظرف نمو الجسد.

٢ ـ إن كمال الإنسان الروحي هو بالوصول إلى القرب الإلهي، وهذا يتحقق بالمعارف الحقة، والتي هي معرفة الله وصفاته ومعرفة أنبياء الله وأوليائه وكتبه ومعرفة يوم الحساب ويوم لقاء الله، وبالعمل الصالح الذي أرشدنا الله إليه كالصلاة والحج. . . والعمل بمكارم الأخلاق، حيث إن كل هذا يؤدي إلى الوصول إلى رحمة الله الأبدية في الجنة.

٣ ـ إن الروح لا تفنى بل تتكامل وهي باقية بإذن الله والذي يتبدَّل ويفنى هو الجسد، وحكمة خلود الروح، لا يناسبها إلا وجود عالم أبدي خالد، هو لقاء اليوم الذي وعدنا الله به، بعد الموت، وحقيقة إنسانية الإنسان هي روحه لا جسده، وبقاء الروح هو الملاك في كون الإنسان هو هو في الدنيا وفي الآخرة.

٤ ـ لا بدَّ من يوم الحساب، الذي يفرِّق فيه بين الأخيار والأشرار، حيث الرحمة الأبدية للأخيار، وهي الأصل التي لأجلها خلقنا الله. والعذاب الأبدي للأشرار قد تعلَّقت به إرادة

---

(١) سورة الملك، الآية: ٢.

اللّه بالتبع لسوء اختيار نفس الأشرار، لأن اللّه خلقهم للجنة، وإذا عصوا باختيارهم جعل لهم دار العذاب فإرادة الله بوجود جهنم فرعية تابعة لاختيار العباد للشرّ.

ويوم الحساب والخلود في الجنة يجسّد الرحمة الإلهية المتناسبة مع كرم اللّه المطلق جلَّ شأنه، ثم إن الدنيا هي دار التكليف لا دار الحساب، والحساب مؤجَّل إلى هذا اليوم، ولا بدَّ منه، لأنَّ الخالق عادل وحكيم، ومحال أن يكون الخلق في الدنيا ينتهي بالموت من دون حساب ولا عقاب ولا ثواب، ولا يُقتصُّ من الظَلَمة والقَتَلة ولا يُثاب الذي أطاع وضحَّى وتحمَّل ظلم الظالمين.

ثم إن أيَّ سعادة في الدنيا هي نسبية، ومشوبة بالمتاعب والمشاق، لا يمكن أن تكون ثواباً للذين بلغوا ذروة الكمال الإنساني، كما أن الدنيا لا تناسب عقوبة من بلغوا الذروة في الإجرام وقتلوا الملايين من البشر، فلا يناسبهم إلا عقاب نار جهنم الأبدي. وبعد هذا، فمن عاش دنياه في هدف الآخرة، هو خير من قام بتجربة الحياة على وجهها المطلوب، لأن من يؤمن بيوم الحساب ويتربّى على آداب الشرع الحنيف، هو الذي لديه الضمانة النسبية للتعايش مع الآخر، ويشكّل العنصر الصالح في المجتمع المدني، ويُنتظر منه أن يكون الناجح في دوره ووظيفته داخل الأسرة أو في المؤسسة أو الدولة، ومن يحمل في عقيدته

الخوف من معصية الله المطَّلع على كل صغيرة وكبيرة، والعالم بالأسرار والضمائر والمحيط بكل شيء، جدير بنجاح تجربته في الدنيا، تمهيداً للرحمة الأبدية في الجنة، ومثل هذا الإنسان يُنتظر منه الكرم والرحمة والشجاعة والحياء وتحمُّل المسؤولية والتضحية من أجل الأهداف الكبرى، والصبر على نكبات الدهر، ومثل هذا الإنسان يعالج فقره بالصبر والتخطيط، مع المثابرة على عمله الميسور، ولا يبطرُ ولا يسرف. وإن كان غنياً فهو الذي يضحي بصبر وتحمُّلٍ أمام الأسرة وأمام الوطن.

وما أروعها من كلمةٍ صدرت من سيد الأحرار وقدوة الأجيال الحسين عليه السلام الشهيد في كربلاء، حيث يقول: من كان فينا باذلاً مهجته موِّطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا فإني راحل مصبحاً إن شاء الله[1].

إن مواقف الإباء للضيم، ورفض الظلم، والتضحية، والإيثار، من أجل الأهداف الكبرى للعدالة الإنسانية، ومن أجل الوطن، والشرف، والعرض، والإنسان، تحتاج إلى شهادة التخرج من مدرسة كربلاء الحسين عليه السلام، ومدرسة بطلة كربلاء زينب عليها السلام، حيث تعتمد هذه المدرسة نهج الإيمان بالله، وبما أراد، وتلتزم بتكليف السماء، ولو أدّى إلى الشهادة والسبي، وتؤمن بالرحيل اتجاه لقاء ثواب الله ورحمة الأبد، ومن لا يؤمن

---

(١) مثير الأحزان، ص ٣١.

برحلة لقاء الله لا يقدر أن يفهم سرَّ الشهادة وسرَّ الإيثار وصلابة الموقف والشجاعة، كما في قول الحسين عليه السلام: «والله لا أجيبهم إلى شيء مما يريدون حتى ألقىٰ الله تعالى وأنا مخضَّب بدمي»[1]. فهذا الموقف هو الذي حيَّر أصحابَ الحسين عليه السلام عندما قال بعضهم لبعض «انظروا لا يبالي بالموت»[2]. إن هذه المدرسة فيها موقف المرأة التي تتجاوز حدود العاطفة، لتقف صفاً إلى صفّ، في الأهداف الكبرى الإنسانية، وينضم إليها أيضاً الشاب اليافع والمرأة الثكلى والفتاة الحديثة العهد بالزواج وكذا براءة الطفولة، إنها مدرسة آمنت بلقاء ربها فأعطت من المفاهيم ما حيَّر رجالات التاريخ.

فالشخصية المؤمنة بلقاء الله كيف نراها عند حدوث المشاكل!؟ وكيف تتعامل؟ لا شك أنها ستتعامل بأعلى مستوى من الحسِّ بمصلحة المجتمع والمصلحة العامة وسوف تعمل بالأوليات ولا تنظر إلى الخسائر الآنية ما دامت تنتظر ثوابها على صبرها وعلى تضحيتها.

ويمكن القول إن نظرية الإيمان بلقاء الله من أعظم الأبواب التي تُطْرَقُ للإصلاح، ومن أعظم الممهِّدات لإرساء الاستقرار والسلام في المجتمع.

---

(١) المصدر السابق، ص ٦٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٧٣.

# الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً على ما وفَّق من ظروف أتاحت الخوض في غمار هذا الكتاب السابع في ليل ١٣/ ٣/ ٢٠٠٧م والذي قد انتهيت منه يوم الجمعة ١٨/ ٥/ ٢٠٠٧م وأسأله جلّ شأنه أن يجعله مورداً للاستفادة والثواب، كما أسأله تعالى أن يعينني على تجسيد ما كتبته، حتى لا أكون ممن يقولون ما لا يفعلون، وحتى لا يكون ككلام الليل الذي يمحوه النهار، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين المعصومين.

# أهم المصادر


القرآن الكريم

نهج البلاغة — محمد عبدو

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن — لمحمد فؤاد عبد الباقي

تصنيف غرر الحكم ودرر الحكم — عبد الواحد الآمدي

المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة — كاظم محمدي ـ محمد دشتي

قصار الجمل — الشيخ علي المشكيني

الأربعون حديثاً — الإمام الخميني

ميزان الحكمة — محمد ري شهري

سيرة الأئمة الاثني عشر — للسيد معروف الحسني

المنجد

مقتل الحسين عليه السلام — المقرم

| | |
|---|---|
| المعجم الموضوعي لنهج البلاغة | أويس كريم محمد |
| الخطوط العامة لبنية الفرد الاجتماعية | المؤلف |
| كتاب التعريفات | السيد الجرجاني |
| الحدود والفروق | سعيد البغدادي |
| الميزان في تفسير القرآن | العلامة الطباطبائي |
| الوقت هو الحياة | المؤلف |
| الأخلاق | للسيد شبرً |
| البحار | للعلامة المجلسي |
| مفاتيح الجنان | للشيخ عباس القمي |
| الصحيفة السجادية | |
| تحرير الوسيلة | للإمام الخميني |
| مثير الأحزان | الشيخ شريف الجواهري |
| الاصطلاحات الفقهية في الرسائل العملية | المؤلف |
| تفسير القرآن الكريم | السيد عبد الله شبرً |
| تزكية النفس | جمعية المعارف الإسلامية الثقافية |
| تمتع بالاسترخاء وخذ الأمور بروية | كاميرون جونستون |

| | |
|---|---|
| وقعة الطف | أبو مخنف |
| الوسائل | الحر العاملي |
| الكافي | الكليني |
| الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ | السيد جعفر مرتضى |
| مجمع البحرين | الطريحي |

# الفهرست